

إبراهيم عبد المجيد

بيت الياهمين

رواية



منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

بيت الياسمين

رواية

بيت الياسمين

رواية

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

دار و مطابع المستقبل
بالقجالة والامكنة

جميع الحقوق محفوظة

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

الطبعة الأولى ١٩٨٦

الطبعة الثانية ١٩٩٣

أخرج الناس من تربة الممودة جثة في جبال ما أن لصحرة حتى
وجدوا أمامهم امرأة ميرة الجمال تدب فيها الروح شيئا فشيئا وهم
يعرجون من حولا في فرع حي وقفت عموداً من نار فصعقوا
وساقطوا بين ميت ومغفل عليه بيها صارت تزع في الشوارع
عارة شعرها الأصفر يطير عاليا وكل من ينظر إليها التجذب وصار
يجري خلفها ولا يعار له أحد على أثر

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« ١ »

لم أفكر في ذلك من قبل ولا تحفظت له . منذ ابتداء الأتوبيس بالسنتين
عاملا وخرج من باب الشركة وأنا أتساءل لماذا اختاروني . لم أجد ميبا
بحريني ، ولا ميبا يشجعني . تقدم الأتوبيس في شارع المكس ، وتجاوز
منطقة القباري ، ثم كفر عسري ، فميناء البصل : ودخل في شارع السبع
بنات ، وأنا لا أكلم أحدا ولا يكلمني . كيف لم أشعر بالطريق ؟ .
مسافة قصيرة حقا لكنها مميزة ، فعندما يتقاطع شارع المكس لابد تتحطل

المركبات وزدحم التقاطع بعربات الكارو والنقل والمقنورات والأوتوبيسات والترام وتسمع صرخة امرأة . تنهى فجأة هدأة شارع المكس واستكانة المباني التي على الجانبين ، تلك التي تعطيك دائما الإحساس بأنك تمشي وحدك وبالليل . وبعد التقاطع اللعين لا تكف الضجة عن مطاردتك . ما تكاد تفصل إلى كوبري النارج حتى تكون رائحة الحبش والقطن المخزون قد غزتك ، رائحة مكتومة تختلط برائحة الفلفل المخزونة أيضا في مخازن بنك التسليف العتيقة ، وترى رجلا يتبول واقفا ووجهه إلى جدار المخازن ، ورجلا يتفوط ووجهه إلى الطريق . تتحول الأرض إلى قطع صخرية فلا يكف الأتوبيس عن الاهتزاز ، ولا الترام التي تكون في العادة جوارك عن الكركرة . لكنك حين تصل إلى تقاطع مينا البصل حيث يلتقي شارع الخديوي مع شارع السبع بنات يصبح المكان وطبا منعشا لارتفاع المباني ، ولانفتاح شارع الخديوي واتساعه على الميناء ، وتستطيع أن تنام غير مبال بشيء . لكننا نجاوزنا هذا كله ..

وقفت نكاد رأسي بصعظهم بالسقف . إغثيت قليلا وتطلعت إلى وجوههم . لصنهم الغريب كدنت أشتهم . إنست . الاسكندرية في هذا الوقت من كل عام تكون واسعة بالضوء المهر . يرتاح بحرهما في لا مبالاة ، وتلفح البيوت نوافذها كإمرأة تجفف شعرها تحت ضوء الشمس ، والفنيات تمرحن في الشوارع .

كنت أعرف أن الزحام انفاجيء المتمد من محطة سيدي جابر حتى قصر رأس التين الأبيض إن يضر المدينة . أن يشوه منظرها . وها هي تبدل غير عابئة به . بعيد أنا الآن عن هذا الزحام ، لكن شارع السبع بنات كمادته مستكين للسيارات والمركبات التي ترحل فيه ، والدكاكين مفتوحة بلا ضجة أمامها . سمعت في الأيام التالية أحد الذين شاركوا في الزحام يقول أنه اختفى بسرعة ، وأنا بدوري أدمع شهادته ، وإلا ما معنى هذا الارتياح في شارع السبع بنات كأن ما يحدث في المدينة لا

يعنيه ؟ ! .. هذه المدينة الصغيرة مسحورة تظرد شواطئها حتى لو اختفى منها الزبالون وسيارات الرش الليلية . إتفاق بينها وبين أشباح مريية أن تظل جميلة ..

قلت :

— طبعاً تعرفون أنه بعد الاستقبال سيأخذ كل منكم نصف جنيه . ؟

—

— ما رأيكم أن يأخذ كل منكم ربع جنيه وينصرف الآن ؟

ولابد أن ملاح وجهي تجهمت لألى شعرت بعيني تسمان .

— يعني لا ترى نيكسون ؟

— أنت حر تراه لو لا تراه .

لسائل أحدهم ورد الآخر عليه .

استجاب السائق لأمرى فتوقف باسمنا وزل العمال ضاحكين . ولا أعتقد أن شرطي المرور الواقف عند نهاية الشارع أهم بأتوبيس يسد التقاطع مع سوق الحفانية ويحطل عبور المشاة وحركة الترام . أما أمي التي لا بد كانت في باحة البيت الصغيرة تلقى لندجاج بهفات ، النخالة ، المنجونة بالماء ، فلا أظن أن قلبها خفت ، أو صدرها انقبض ، ولبنها ، صاحب الاسم الغريب ، يرتكب جريمة ...

لم تتجاوز الواحدة ظهرا ووجدت نفسي على الرصيف أمام مقهى الكريستال الذي كنت جلست فيه لأتفرج . لقد مر المركب وسرب المزدحمون إلى الأتفة الحانسية المقضية إلى الشية ومحطة الرمل . القضاء أبيض رائق والبحر أزرق متمد والسماء عالية جدا وأنا أقف وحدي كأني أتيت بعد انتهاء العالم . كدنت أضحك حيث فكرت أنه يمكن أن تبدأ في دنيا جديدة . ليرقش . صعب أن أكون للنبي آدم ، وأصعب أن تخلو

الدنيا إلا منى .

الداخل المنقوس في اللحم القوي ، ومن فوق بلوزات خفيفة تضع تحتها
السوتينات .

— كاجشينو .

رفع التي عينيه . هل ثمة خطأ ما ؟ هل لأن طويل ؟ . هل لأن
دخلت المنزل وحدي ؟ . أكثر من شاب وثقة يتهامون في الأركان .
وقت وحيدا بين الحمس الخفي . اكتشفت أن عاجز عن التفت .
أستبج الخنوات . وأكلف من ينظر التي أن يرفع عينيه عاليا ...

— باردو .

قالت التي كادت تصطدم في عند الباب وهي تدخل مندفعة .
تراجعت خطوة فأوشكت تقع من فوق درج الحبة . أمسكت بذراعها
فانفرست أنامل في اللحم الطرى وغزني رائحة العطر فبعزني . فكرت
أن ملاسى تطايرت وأحسست بأنفس ينفسح . لإشربت صحيفة من
جوار العمل ومضيت . برودة لحم الذراع الطرى في أنامل ، ولا أعرف ماذا
يقول الوقف خلف جهاز القهوة عني وأنا أنصرف قبل أن يجهز لي
قهوتي ..



في شارع صفية زغلول أفركت أن قدمي هما اللتان تمشيان في . أحب
هذا الشارع . ولا أحد أحب سينا وطميرا مثل . تفتح دائما أبوابها
مكرا فيخض فيها العلية . لابد أنها تفعل ذلك حتى الآن . تجلس ساعة
حتى يبدأ الليل . للأرض المنسولة رائحة أليفة . اللهبات غافقة الضوء
على الجانبين متباعدة . ونور دورة لياح ممزج . للجلوس نظام تلقائي كأنما
للنارس انتقلت كاملة وليس طلاب متفرقين . وشقائم . تجارة محرم بك
تحبي الصنایع . يعوض الله . يعوض الله . سبع صنایع في إيدنا وأهم مايل

لم أر الذين أصطفوا على الرصيف المجاور لسور الكورنيش يعبرون
الشارع . ربما تراجعا وسقطوا في البحر . تحت رجلا وحيدا بعيدا عند
النقطة التي ينحني فيها الكورنيش ويختفي ، وتحت السلالات العالية زاوية
النظر ، ويبدو لسان قلعة قاتبها كأنه بارز منها . لكل الناس تابعوا
الموكب إلى القصر والرجل البعيد ذيلهم . لم يمض وقت طويل ليحدث هذا
وما كان ليغيب عني .

ترأت في ابتسامة الرئيس العريضة المضممة بالألق . ابتسامة نيكسون
المسلوبة بالدهشة ، ووجهه الأحمر بارز الوجتين ، وقلوبه بلواحه الجني
بطريقة عشوائية كأنه يدهن جداراً بعرض الفضاء .

كان على جانبي العربة المكشوفة السوداء ، العريضة مثل بطة عرافية ،
أمريكيان ينظران عكس اتجاه الموكب ، لا تفارق عينيها التوافد العالية ،
ويد كل منهما على مسدس في جانيه . لماذا كان الذي ناحية البحر ينظر
إلى أعلى أيضا وليس فوق الماء غير السماء ؟ .. أدخلت يدي في جيبى
بنظرون . فذلت عقب السجادة من بين شفتي بنفثة ماهرة تعودها
ومشيت أفكر في عقل الذي صار يعمل بشكل غريب .



متون عاملا في ربع جيب تحي خمسة عشرة . نوفر في إثنا عشر .
كنت فكرت أعطى السائق خمسة جنيهات . أدركت أن أى مبلغ
مأخذه يعني مشاركته . أعطيته ثلاثة وانصمت من الخيط الذي
أصابني فجأة ..

عبرت شارع الغرفة التجارية من عند رأسه فدخلت في شارع سعد
زغلول . لاحظت منى لفته إلى اليسار فرأيتهم يشربون القهوة أمام محل البن
البرازيل . الفتيات ترتدين جويات محبوكة على أردانهم تبرز حر السروال

علينا . ثم ترم ترم . اسكنة الصناعية تحي العباية الثانية . يسقط
المطر من السماء . يعيش السمك في الماء . العباية تحي التجارة .
سيروساتس خلال الشعب . سيروساتس خلال الشعب . ونور دورة
المياه محم . الوقت طويل حتى يبدأ الفيلم . وطني حبي . الجميع
يغنون .. وطني الاكبر يوم ورا يوم أبحده بتكبر وانتصاراته ماله حياته
وطني يكبر ويتهجر . وطني وطني . عاشر الجبل الصايع عاش ؟ ..

هرتفع الصغور . وبدأ الفيلم الحقيقي ونور دورة المياه محم . بخار القطار
ينطلق في ردى مارلين مونرو ، وجاك نون بترك شفته للبحر يأتى فيها
بشوى ماكلين ، وراف فالون يختص صوفيا لورين في دكان الفحم ،
وجينا لولو بريندا تقفز أهل السوك مع تولى كوتس ، وبرت لانكستر
يتسم ببلالة أمام جارى كوبر ، وكريك ووجلاس يمس بيده حزنا بطن
جون سيمونز المتضخه بابه ، إين سباراكوس ، وجاك سيمونز يخطف
روزانا بويستا تقوم حرب طرقة ، وستيف ريفز يقطع الشجرة يلقفها
أمام العربة التى جمع حصانها ، ويقول رجل غريب بيتنا جاءت جلسته
جوارى أنه كان يعرف « هرقل » هنا معرفة حقيقية ولكنه تركه وذهب
ليشتغل في السينا ، وباب دورة المياه محم ينتفح وينفلق كل دقيقة ووجهى
للشاشة ، وحيوان يتجه إلى الباب . سخونة على فخذى وأبعاد بين ساقى
وأنف . لست وحدى الذى يسفح دمه على بلاط دورة المياه . الرحام
شديد وكل ينظر الى الأرض في استغراق يخفى سرا معلنا ليس أسمى إلا
رؤوسا مهوشة الشعر . لماذا أتذكر تلك التفاصيل الخالية الآن . انتهى
ذلك كله ولم أكن في حاجة الى فرار أو إرادة . لم أعد أدخل السينا ولا
فكرت في حيوانى . هل من للعقول أى نسيه ؟ لا يجب أن يشغلنى الآن
ولأنظر إلى الأمام .

الشارع نظيف كما هو دائما . يحتاجنى إحساسى القديم بأنه يلقى ،
وبأنى الذى بينته وحددت بذاته ونهايته وأقمت على جانيه اللباني . هاهو

نفس هواء الصباح يروح فيه رقيقا له طعم ماء النبع . شمس الظهيرة
كعادتها غصه بأوهن الأشعة وأنصعها . كأننى لم أمش فيه منذ
سنوات ! . لماذا أدرك ذلك الآن فقط ؟

فكرت القى بالصحيفة في أول سلة مهملات كى أسير وحدى ..
مشغول أنا الآن باصطياد الهواء المطر بالنساء . تجرى عنفاى مع الأشعة
نوق السيفان اللامعة . لن أجلس في مقهى البلياردو الواسع عالى
الضجيج . كان هانى هو الفائز دائما . قابلته صديقة منذ ثلاث سنوات
جوار « الدليل » . لم يكف عن الضحك كعادته . كيف يضحك
« رائد » في الجيش بهذا القدر وسط ميدان عام ؟ . إلا أنى سعدت . لم
ينجأه لى . سأله هل لا يزال راشد يحفظ أغاني عيد الخليم ؟ قال أن
راشد بعد أن تخرج من كلية الطب التحق بالجيش ولم يعد يراه ... الجيش
كبر وواسع . وقال أن لا أحد يخرج من الجيش الآن .

— ألم تتحقق بالجيش ؟

سأنى . قلت :

— أنا وحيد كما تعرف .

— إذن أنت مسؤول عن الحياة الداخلية .

هتف وضحك بلا حساب ومضى بعد أن قال أنه منذ زمن طويل لم
يقف في محطة الرمل ، وإنما جاء هنا اليوم ليتصل بخطيبته التى في
القاهرة .

— سكتوب .

— آسف .

نظرت إلى التادل الأسود الرشيق . لا أعرف شيئا آخر ولا أدري أن
على الشصدة قائمة .

في • إيليت • يجتمع العشاق وتسمع فرقة الفيلات . كان هاني يحكي لنا قصصا خرافية . التحق بالكلية الحربية ليوقع أكبر عدد من الفتيات في غرامه . ما الذي دفعني إلى إيليت الآن ؟ ..

كنت وقت أيام سينا رباتو مشدوداً إلى انصرور لمنطقة فوق شباك التذاكر . لم تزل جوت . ما تسفيلد تنوسطها بصدورها الذي يكاد يقفز بين يدي لكني لم أعد أجمع هذا الصور الكارت بوستال أصحبها معي لدورة المياه في البيت . لم أعد أشتري أي صور كارت بوستال ، وللمصانع كفت عن وضع صور النساء العارية مع قطع الصابون .

لأبد أن الدولة هي التي أصدرت قراراً بذلك . لأبد أنها أيضا التي هربت أسماء وأنواع الصابون . لا تعرف الدولة أنني ابتعدت عن عادات السيفة دون قرار أو إرادة ...

لم ألق بالصحيفة بعد . تركتها تسقط جوار قدمي . غبت شاباً وقفاً بتفرجان على صور الفيلم المعروف وقد تشابكت يدهما . يختلسان النظر إليّ وهنهما مسان وهنهما مسان . إلتحيت وتناولت الصحيفة . شعرت بألم في بطني فعمرت الشارع إلى إيليت .

— ماذا لا يوجد سكلوب ؟

— لا يوجد بيض . نفد فجأة .

— إذن جيمري . جيمري كبير ومشوى وبيرة .

ولم أراجع . على المناضد فتيات ناضرات بالفرح والإثارة ، وخيان أيضا ، والموسيقى حاملة كما يقولون . لماذا هذا الصمت بعد دخول . هذا الجو الرطب حنون حقا لكنه يفتح المسارب للنوم . لا قبيلات حوني ولا همس . أشعلت سيجارة ورأيت القائمة أمامي فحطت لقرأ أصناف الطعام . هل سيتكرر إخراج الشركات للعمال لتحية الرئيس . يزور الاسكندرية في السادس والعشرين من يوليو . ينتقل نشاطه إليها غالبا في الصيف الآن . إذن فرصتي في التلحين يزورون الرئيس في الصيف .

لكن ... بالله ... لقد توترت العلاقات بين مصر وسوريا . بين مصر وليبيا . بين مصر والاتحاد السوفيتي . بين مصر والفلسطينيين . أربعة زعماء لن يزوروا مصر ، وقد يزبدون .

كان التادل قد وضع أمامي زجاجة البيرة وكنت مشربها . ألم في بطني . شربت البيرة كأنها ماء ومعدني خاوية . وسقت الجيمري والحة والتادل يتقدم به مسرعا . لم آر رؤوسا تشب خلف المناضد . لأبد الآن من قذف الطعام إلى جوف بسرعة . فكّرت ولأبد أنه تفكير صحيح . طلبت زجاجة بيرة أخرى . فرصتي المكيدة وحيدة هي السادس والعشرين من يوليو . ماذا لو نقل الرئيس نشاطه إلى الاسكندرية قبل هذا التاريخ ؟ لن تكون هناك استقبالات . لن يزور الاسكندرية وهو فيها . كل شيء إذن يعتمد على الخط . صداع خفيف ينتشر في رأسي ويتجمع فيها فوق جيمري . لم أشرب البيرة قبل اليوم !

نهضت بعد أن دفعت ستة جنيهات كاملة . نصف زبارة نيكسون . لقد دارت بالمدينة اشاعات عن السفن الأمريكية التي تفرغ السمن واللبن الجاف ، وبلغ من قوة الإشاعات أن قال حسين أمس أن سكان بحري والأنفوشي محجوزون لأنفسهم ويحرمون منها بقية الشعب ... قبل أيضا أن جنود البحرية الأمريكية يوزعون الدولارات بالمنشية ، وأن طائرات الهليكوبتر تلقى بأجولة الدقيق الفاسر في مظلات من الجوهر اليابالي ، وأن المظلة أفضل من الدقيق فقماشها ناعم يصنع سوتينانات وكيلونيات لأنه من دود القفر ... هذا كله كذب . الفائز الوحيد من زبارة نيكسون هو أنا ، حتى الآن على الأقل ، والكاذبة ، أن الاسكندرية لا تعرف ذلك أيضا ، ولقد بددت نصف ما كسبته ، ولا يخفى علي إلا أن أسقط من الصداق والسكر ونقل الطعام . سقوطي سيكون مضحكا ومقويا مثل سقوط عمارة الخاق ، لا يجب على الطويل أن يسكر أبدا . آه . ما الذي جعلني أدور هذه الجولة . هل هكذا يفعل المصري ؟ . كنت فكرت اشتري حذاء

لأنى وجلبايا . لماذا نسيت ؟ ..

— مالك يا شجرة ؟

— لا شيء . فقط أفكر في الزواج .



تجاوزت الساعة الثالثة والنصف وأنا أقف أمام باب « إيليت » . الحار والعرق يغمري وشارع صقبة زغلول يحفلنى ويثقل بالوحج .
— هل يمكن أن تصل في إلى « الدخيلة » ؟
— يمكن طبعاً .

أجاب وفتح باب التاكسي من الداخل واتسم . هل نطول أم لا نحتاج الشديدة أم لرائحة البوّة من فمي ؟ تركت نفسي غير عافية بهؤلاء الناس السعداء . ثم وأيقظني بعد أن تجاوزنا منطقة « المكس » . مسحت يدي العرق السائل على رقبتي . أعطيت جنبها كاملاً . ضعف ما يستحقه فشكرني . أول ما واجهني من البيت الأرضية غير المبلطة ، والتي غطّاها أن منذ سبع سنوات بعلقة عشوائية من الأسمنت . خلعت ثياني وعلقتها على الشماعة التي فوقها كل ملابسى . ارتدبت البيجامة ووجدت في أحد جيوبها قطعة فضية بخمسة قروش . متى وضعها ولماذا ؟ تمددت فوق السرير . لابد أن أمتى تغذّت وحدها ولم تتظروني فهي ذميمة . أشعلت سيجارة وحاولت أن أنفث دخانها بهدوء وقوة وتركيز ليصل إلى السفن الخشبي فلم يصل . لابد أن تركت الصحيفة في إيليت . فكرت في أن أبيع البيت ، وأتابع السياسة الخارجية في الصحف . ما هذا المياج الجنسي ؟ .



رأيت أمتى تغف متعبة على باب الهجرة تتأملني كأنها لا تصدق أنى دخلت البيت وحدى ! . قف لنفسي لو يزور الرئيس الاسكندر في عيد الأم ..

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« بعد النكسة ظهر رجل يلحوق في شوارع القبارى ، حالها
 كحلف اللحن والشارب والشعر مهترىء الباب يقف كثيرا
 ليصبح « طر في الأثريونية البريطانية التي لا تصب عنها
 الشمس » ويضرب كلباً معه يسميه جونسون . بعد عام ظهرت
 معه كلبة يناديها بجاكلى ثم كلب اسماء أرتالت وازدادت الكلاب
 تحمل اسماء برانت وميوترو وأنديرا ولورد كازادون وجولدا والزايث
 وبوميدور وغيرها . صارت مسوته مشهدة لفتح له الفواقد
 والشرفات ، وازدحم خلفه الأطفال بصرخن « طر في الأثريونية
 البريطانية التي لا تلب عنها الشمس » . يمان لا يساهم الناس
 لهذا الرجل . يوم مات جونسون فسكر وتجدد على الرصيف يكنى
 بحرقه وجنة كلبه فوق ساقه ، ولأنه كان سقى كلابه امرأ صارت
 صرخ وصبح نباحا مقطوعا بالفراق الذى لم يصور أحد أنه يصيبها ،
 ويوم مات الرجل نفسه الأقبرخ للامسى فمشت الكلاب وحدها
 فصيح « طر في الإثريونية البريطانية التي لا تلب عنها
 الشمس »

« ٢ »

« يمر في يوم كتيب يلود عمل مثل اليوم التالى . في كل لحظة فكرت أن
 أحدا أنقاع ما فعلت فانتشر كما تندور الماكينات . أمصيت اليوم أنا والخوف
 في مكنتى ، إلا أنى رأيت الساتى و الأمطى يوم « عند الانصراف يقف

مكتبات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

ببواب الإدارة يتأملنى باسمها . صلاتحه وأحسنت بالحلب معه هذا العجوز
دو الكرش الكبير ..



من حمى مرث الأيام كمادتها . صبل فى الصباح فى حجرة تكضم
مها الملمات وينترب مى مترية ، وبالتللى قلب الطاولة مع حسنين وماجد
وعبد السلام ولا يردد بنا أصدقاء . وما اخترنا ، مقهى الماسخ ، بالقات
لذلك ، فهى تطل على الطريق الرئيسى الموصل الى « العجى » ، والذي
يلصق « الدخيلة البحرية » الأصلية للطلقة على البحر ، عن « الدخيلة
الجنوبية » المستخلقة التى نوعلت فى الجبل . سكان الشطون يفضلون
مقاهيم القرية ، ومقهى الماسخ لا يجلس إلا عابرون ، وبعض طلاب
مصار لا يجوبون الزحام ، يتغربون لكن يرونا كباراً ولا يحتفلون بنا . لقد
عرفت على حسنين منذ حوالى عام حين اشتركنا بالصدقة فى انقاذ خاة
من الفرق . قال انه يسكن بالقبارى ويتردد على شاطئ الدخيلة منذ
صباه ، وله هذ أصدقاء كثيرون لم يبق منهم غير ماجد الصبدى الذى
عرفنى عليه فى نفس اليوم ، وتحدثنا كثيرا عن عبد السلام صديقهما
المهندس الزراعى الذى يكاد يكمل العلم العاشر فى الجيش .

— ست سنوات مضت عليك فى الدخيلة ولا تعرف أحدا ؟
سألنى حسنين .

أجبت :

— أخرج الى عمل وأعود صامتا لا اختلط بأحد وقليل ما خرجت الى
الشطىء .

ابتسم وقال :

— كان فى شارعنا شاب مثلك اعتقد الناس أنه مخبريت .

بعد شهرين من لقائنا قامت الحرب . استدعى ماجد الى الاحتياط .
عرفنا أنه فى الخطوط الخلفية مع الفرق الطبية ، ووجدت بمسى قدام مع
حسين على عيد السلام الذى لم يؤه . لولد خلفا حين عاد ماجد بعد
انتهاء الحرب وعرفنا أن عيد السلام محاصر مع قوات الجيش الثالث بعد
فك الحصار وعوده اندفعت احتضنه كما لو كنت أعمه حفا ، وقلت له
أننى منذ بداية الحرب أحلم أحلاما جنسية ، والعرب أن من يها حلما
كلما مع جولنا حالى .. ضحك كثيرا جدا ، لكننى والله لم أكن
أكلب ..



إسألنى الاسكندرية بالزيارات فعرفت أن العام قد در ولم أهم . دفنت
فكرنى فى بيع البيت ومشروعى فى الزواج . لا أريد أن أطل من بوندى
لأنها تفتح على لا عجاة إلا بسرقة كبرى وليس هذا عمل ولا لى قدرى ،
أو السر الى بلد خطى وهو عجزى بسبب أمى . لكن الذكورى نقيب
العمال النحيل صاحب الوجه قال لى : « مانت حامل هذه مرة ، عدد
ضخم يجب أن تعرف كيف تسيطر عليه . لكل عامل حبه ونصف » .

تقرر أن أقتف يوم يوم السادس والعشرين من يوليو على طريق جمال
عبد الناصر عند محطة سيدى جابر حيث سيرر اسادات من القطار
احاصى متجها الى المعصية . عند تقاطع شارع السبع بنات مع سوق
اختفائية أوقفت الآتويسين . أعطيت كل عامل حبه واحد . استمررت
وقتا طويلا فى الشارع بالسيارات الصارخة ، وأصبح ميدان انشبة كالحجيم
من زحام المركبات ، لكنى مر كل شىء بسلام . أعطيت الأسطى راسم
الذى يصحبنى للمرة الثانية خمسة عشرة حنبا ، وكذلك السائق الآخر
الذى يصحبنى لأول مرة . أدرك ما فعلناه ضحك .

قلت :

— لا حياة

— لا حياة

وإصغروا مسرورين

اليوم التالي يسألون ما إذا كانوا نسوا شيئا عنده وقال عبد السلام أنه وهو يركب القطار إلى رشيد كل يوم ظاهبا أو قائما من عمله يلاحظ أن الناس تكاد تتشاجر عند الصعود أو الهبوط بالهطبات ، وما يكاد الصاعدون يدخلون العربات فيقفون أو يجلسون حتى يتسببهم صمت لقضبان . حزت أفرى على الذهاب إلى « المقدس يحيى » الذى يبيع السجاد والمصنوعات دترا بها على كتفه في الأزقة فهو معروف أيضا كمشتر

قلت لأنى « سوف أبيع البيت » . كنت متزجلا ببطانية خشنة أقرأ جريدة للنساء التى عنوانها « بروت تحرق » وكنا نسمع صخب طواء وصوت المطر الذى يضرب البيوت والطرفات بشراسة .
— بهه يابى .

قلت ولم تنظر إلى . كانت جلالة أمام وأبهر الحجاز المشتعل نداء يدبها والحجرة . أنشطها المطر في هذا الوقت من الليل وصوت الدجاج المستغيث الذى قالت عنه منذ قليل أنها ترغب في تجديد عشته .
— سأمتأجر شقة واسعة بالجهة البحرية .
— بهه يابى

قالتا بتعجب الصديقة التى لا أعرف هل سمع عن رضا أم تشفى باليأس . بعد أيام جاءنى « المقدس يحيى » الذى قرر أن يشتري البيت نفسه ، ومعه « عبده الفكواني » الذى يعنى عمارة على البحر مباشرة قرب المطار . المقدس يحيى هو الذى دلتنى على العاكهاتى وقال أنه سييسر بيتا ليحسبى شقة .

تصنعت أنى على عقد بيع البيت بألف حيه على أن تخلبه خلال سنة أشهر ، ودفع المقدس يحيى الألف كاملة . كانت هذه أول مرة أرى فيها

انتمشت آمالى من جديد لكن لم يمد من الصبح أن شخصية هامة ستزور مصر هذا الصيف . جاءت السبعين جنبها بالمرقة التى أنام فوقها صابرب مائة بعد أن صرفت لنا الشركة مكافأة تعادل مرتب شهر عمالية تدشون سمينة جديدة . ومعنى الصيف صابرا . أنام الجميع لتقى مع حسين وعبد السلام على الشاطئ . يتخلف ماجد لحسه في الصديفة . ماجد يقول دائما أنه يوم يملك صيدلية خاصة سيجعل راحته يوم الجمعة وليس الأحد ، وأنه يقتل نفسه في العمل عند غيرة ليحقق هذا الحلم .

في كانوا « يسو » تفرج على الناس من حولنا . يتحدث عبد السلام عن شاطئ الدخينة قديما حين كان نظيفا غير مزدحم ، والأجانب الذين عاشوا في الفن حذب المحكمة يقيمون المحلات القليلة والمناخية والموسيقية بناس بهمان . زحف الإهمال على الشاطئ وتغير رواده . باتون الآن من « القبارى » و « المراس » يعمنون معهم الشجار والصراخ جوار أنوارى الطهور والأطفال . وحسين لا يكف عن بث الانبساط والإشارات بيده للند . والفنيات فإذا تحاببت أحدها اشتمل وجهه بالضحك . « لى هنا فقط . لا أستطيع الاستمرار » . يقول ويتسم فتضحك ويهوى بيت الانبساط والإشارات . وأنا كثيرا ما أفكر في المائة جنيه وأقرر في لحظات بأمر أن أهددها . ودخلنا مع الصيف في الشتاء وسألنى حسين بالمقهى ذات مساء :

— لماذا تبدوا شادوا هذه الأيام .

قلت :

— بالعكس أشعر أنى حاضرا للذهن تماما .

قال ماجد أنه كثيرا ما يشتري منه الرياض الأدبية ويتركها ويأتون في

شيء راسخا في مكانه العظيم ؟ .

استلقيت فوق سريري مرهقا ووجدتني أتذكر مدرس اللغة العربية القديم ، هادىء الملامح ذا الوجه الخزين في مدرسة الدين الثانوية . الحياة أكبر من أن تقف أمام أى حزن أو قلق . كان يقول دائما . كل ما عيشت إذا أصابك شيء من ذلك أن تمسك بورقة وقلم وتكتب رسالة الى من صابقت أو خابقتها ، تحب عليه لو تستغفره ، بعد ذلك لن تكون في حاجة لإرسال الرسالة . ستهلأ نفسك وتفرحها . قد أنه كثيرا ما يفعل ذلك . هذه هي طريقته الوحيدة الناجحة في التخلص من همومه . إحتضني هذا المدرس الشاب فجأة ولم يعرف أحد سر احتفائه ، وأذكر جيدا كيف تجهمت وجوه المدرسين لفترة طويلة وكيف ساد الصمت حجرةهم .

في حالة من الأسى الدافق فكرت أن أكتب لأسمى الأهمية التي تنام بالغرفة الأخرى خطابا أطلب صفحتها . أمسكت بورقة استندتها على صحيفة على ركني وكتبت .

« سيدي رئيس الجمهورية بطل المبرر والنصر .

بعد التحية

محيط فضاتكم علما بأن حبال مصنع بناء السفن البحرية بالاسكندرية أبدوا رغبة حامية في السفر الى القاهرة للاحتفال معكم بعيد العمال لكن رئيس مجلس الإدارة رفض وقال أن ذلك سيعطل الإنتاج . أى نتائج بمنعنا عن التعبير عن حبنا لكم ؟ ..

« عامل صغير من أبناء الشركة »

في فجر أول مايو كنت أقف في ميدان محطة مصر أمام أوتوبيسين كيبين . دأبتني النسمة الباردة وأخذت أتطلع الى سيارات التيجو المصفوفة تنتظر ركابا الى القاهرة وقف حولها سائقون يدخلون في صمت

الألف جنيه . حرر لي عبده الماكهاني عقد إيجار شقة تسلمها خلال نفس الفترة وأخذ الألف جنيه . أسمى صامتا لا ترمش لها عين وقلبي يحيط بين صلوى . من الفائز ؟ . معى حقا عقد إيجار شقة لكن يمكن أدلا يعمد كونه ورقة غير قابلة للتنفيذ لأى سبب يبيها ضمن للقدس يحى بيتا ودار الماكهاني بالألف جنيه . لم أستطع التراجع . حين تكون طيبا مثلى من ترجع ثم أن هناك نوعا من السعادة يتبع داخل الإنسان فجأة مجسده لا يرى أكثر مما أمام عينيه .

انقضت الشهور الأربعة التالية والمقدس يحى لا ينقطع عن زيارتنا . وأنا أتردد كثيرا على العنارة وعبده الماكهاني وإزداد اطمئنانا

— لماذا لا نحلس أمك معنا ؟

سأل المقدس يحى مرة . لم أجد ردا . لم تعد نتحدث معى كثيرا . كلما ماتت « كيكوت » تحضرو لأراه . لو كنت بالخارج احتفظت به حتى أعود لأراه فأسكنه من ماله اللينتين وأقذه بطون ذراعى فوق البيوت المتزاحمة بالاكفاف .

— حين تنقل إلى الشقة الجديدة سترد إليها الروح .

قال المقدس يحى بعضى ، وفي زيارتي التالية لبيده الماكهاني قال .

— يا أستاذ شجرة فلوسك موجودة . أرتفعت أسعار البناء بحون وحتاج مائتى جنيه .

.....

— يا أستاذ شجرة أنت موظف في شركة بناء السفن الكيفية وتستطيع اقتراض المبلغ منها .

تركته ولم أذهب إلى المقهى . اشتريت منه كيلو يرتقال حادق أعطيت شمعدان في الطريق الساعة لم تتجاوز السادسة مساء ووجدت أسمى نائمة . سمعت صوت الدجاج فقكرت أقدم اليه طعاما . لم أفعل ذلك من قبل . ما لدى نفرى من هذا البيت الوداع ؟ . ما الذى أقاربى وكان كل

الأسطى بهم الذى يصحى للمرة الثالثة يكمل يومه فوق مقود السيارة ،
وكذلك يفعل الأسطى عانس الذى يخرج معى للمرة الثانية . نائب لى
ساعة نقطة معصلة على الثالثة عشرة ، وحركة حصة و المساحة الأمامية .
فى حديقته ليدل المساحة بام أكثر من شخص على المقاعد الخمسة وقد
عصاه الخش ، وأنا مسرور لأفكر فى سحابتى مكشفاً أفكر فى الأسرور
الاصو وكيف لعب مع « الطاولة » بعب ، وكيف أصابى همتية
الضحك لثى ذهبت حبيب ومحمد وعبد السلام . لم أنشأ أن أحبرهم
شئ . لقد دخل الدكتورى حرق مصطرباً شاحباً على شحوبه وقال :
« جهر نفسك نلاحظال بعيد العمال وشحذك لأنك تعرف
القاهرة وحولاً جيداً

بدت جهد جبر ألا تصعد إلى وجهى دهشة . لم تسبق لى مرة
مقاهرة ولا حول ، ولا يجب أن يدرك الدكتورى أن متبهم معرفة شئ
قد كان كانه يحدث نفسه أن أحد الحباء من العمال أرسل خطاباً الى رئيس
جمهورية يدعى فيه أن رئيس مجلس الشركة يبيع العمال من انفسهم
بمشركة فى الاحتفال بالرئيس فى عينهم ' ، وأن احباء كتب الخطاب
بخط ركيث — كنت أعدت ما يكتبه يلى اليسرى على ورقة أخرى
وأرسلت الخطاب من البوستة العمومية بالمشية — ولقد حولت رئاسة
لجمهورية الخطاب الى الشركة وعليه تأشيرة « تلقينا هذه الرسالة » .

— ذل لم يطلوا سفر أحد ؟

قلت دبتهم ساحراً ومضى وهو يرمى لى رحلة ناجحه ولم أصدق



وهت أأمن توفد العمال من أكثر من جهة يحمل كل منهم معه
صعيقاً ب طعمه مع أنا مسرور لهم وحية جاهرة ورجاحة من الاساس
سأدره . سادت الحركة فى الميدان وبور الصباح يعمر الأرض فسمع فوقها

الذى ، وأشعر بنشوة ترتفع فى دمي وتضج فى خلاياى ، وأسمع سائقى
اليجو يتنادون بصوت بشط « مصر - مصر - مصر » . وأفكر فى المائتى
عامل الدين صُرف لكل منهم أربعة جنيهات كيف سأقتصع منها جيب
فيتوفر معى أربعمائة أعطى لكل سائق مائة هذه المرة ، وألقى بالماكين فى
وجه عبده الفاكهائى المجدور ذى العينين الخيشتين . وانطلى شعور صيب
بالأذن فأحييت هذه اللذبة التى تتفل من الشتاء الى الصيف كأن
تسبح فى الكون الساحر معصلة عن الأرض ، مع هى لسهء حالة من
السحب السود ، وقطعان السحب البيضاء قليلة متناثرة كأن أطفالاً تفرح
فى الفضاء الواسع . الحمد لك اللهم أنت د لا تتخلى عن ابنك
« شجرة محمد على » صاحب الإسم العربى الذى سبب به المضيقات
كثيرة فى طفولته وصباه ، ولا يزال لا يأنف عبادك الصغرى اللهم ام
صل عبداً ولا تحللنى فقتل أسمى .

وانطلقنا على الطريق الزراعى الذى بدأ مبتلا يكشف لك ندباً لأمنا
بعد أن ودعته شجرة الليل واجتمعت على الجاسين فوق لحقون تغطيها
اليسر السابغ الذى يكشف لليل فى نور متناثرة عن أشجار قصيرة
عصيفة الإحضرار فيسر وهو سابع بيها كجدلول ماء صحرة

كان على حاسى الطريق بام كثير مناظر فوق الأرض ويتناثر إلا أن
سرب أنطلق إلى دواباب شجر الكافورى والكافور على أغتش عن
أصقاء الملاح من العريش والمهدد وأنى قردون ، وكنت أعرف أن
الأسطى زبهم يظفر لثى كثيراً ويصيح . لقد قررت أن أسمى اليوم لى
صدا .

« لا أحد في الدخيلة ، لا يعرف الحاج عبد الوهاب . هو صاحب أكبر أسطول من عربات نقل أحجار البناء من الجبال . وهو رجل صالح يبيع كل عام ولا تقوته العمرة في رجب ولا رمضان . رزقه الله بالولد بعد ثلاثين سنة وفي الفجر رُوع الناس بصراخ زوجته التي خرجت تجري في شوارع الجامع ، حالية تلمر كثيرا في الهواء . لقد تعود الحاج عبد الوهاب منذ رُزق بالفلان أن يحضن معظم الليل يمسح بأشياء الله . تلك الليلة ظل يردد بالطيف بالطيف بالطيف . يخطف في الأكل حيناً ويبلغ له كثيراً ولم يسمع قط تلمر زوجته . اللطيف من الأسماء ذات الأثر الكوني السريع . هكذا خلق الفلقون في الدين بعد الحادث . والذي حدث هو أن حلق العروة الشق إلى نصفين اندفع من بينها طائر ضخم الجناحين أبيض سايق عمر العروة بضوء أزرق يخطف الألبار وحل الطفل إلى صدره وضم عليه ساقه وأرفع من بين السقف للفلقين بشق الفضاء إلى السماء السابعة حيث عرش الله »

« ٣ »

اليوم هو الثامن عشر من يونيو . يوم يامت بلا احتفالات ولا زينات ولا خطاب لمسؤول ، يوم غلب عليه الثالث والعشرين من ديسمبر حيناً طويلاً ، وجاء الخامس من يونيو لينقع بهما وتجميع الأيام إلى الظلام الآن

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

السادس من أكتوبر هو الملقى . وللمرة الثالثة وربما أكثر لم أستطع أن أتم
معي عن النظر إلى تعرف الأربعة الواحة ، والصالة العسيحة ، والجدران
المدعومة بالبيت القضي ، والأرضية القروشة بالقناتكس البيج ، والحجر
الواسع الذي يرتفع فيه القيثاني الوردى إلى منتصفه ، والذي يلعب
السواميك على أوصيته ، ولانيو الكبير ، والنش التحرك .. إني أزد
طولا ...

سلمى عليه الفلاكهة الشقة بعد أن سؤد الدنيا في وجهي . لم
تؤاسدي أحتاج مائتي جنيه أخرى . لم يكن مضي أسبوع على تسلم
لمائتي جنيه الأول . صرعت وكان الشهد مضحكا . أنا الطويل أحرك
كلني مفتوحين بعصية أمام وجهه مباشرة ، وبين رأسه ورأسي مسافة
نصف متر . تركني وجلس بالجل بينا أودور بين الفاكهة والخضر النابذة
مسعورا أود لو رفعتها وكبتها فوقه فخنقه .

— أنا لا أتعجبك . الشقة يمكن أن تنتظرك سنة .

كدت أقول أن أمي سموت لو عرفت بما يحدث . بدا لي يدرك
ذلك . يتسم كقرد وأنا أكاد أنفجر مبها في الفضاء . وصوتي لم أستطع
اطلاقه كي لا ينتشر الخبر . لا أعرف كيف صار شكل وجهي ووجهي
وما الذي دفعه للقول .

— اكتب لي بالبلغ إيصال أمانة ، أستطيع اقتراضهم من أي قاضي
لحسابك .

وافقت . نواحي أو أقله ولا وسط . سلمى مفتاح الشقة قبل الموعد
وبدرك لي النعين . فكرت أن أسعى بحسين ومجد وعبد السلام لتقل
الأدث . أستأجرت عربة نصف تقل كيوته كله موقها في منتصف

الليل . سمعت أمي تقول « بسم الله » وهي تدخل الشقة بقدمها اليمنى ،
ولم تنسى أن تصحني بذلك . قلت « الحمد لله » مستندة أمي
بالشقة . بسرعة وزعت الأثاث القديم في حجرتي . بدت لي الشقة
تستوعب أثاث عمالات شوارع العطارين وتوفيق وصلاح سالم وقواد
أعرفها كلها الآن ولم تلتفت انتباهي مرة من قبل . أنفقت أسبوعا أتفقد
وأنا أعرف أنه ليس في قدرتي شراء شيء منها . لقد غرس في رئيس مجلس
الإدارة الأمل حين دعاني بعد أيام قليلة من عيد العمال وقال وقد بهي
يستقبلني من خلف مكتبه طويلا عن هذا أبيض الوجه لتسكب النعمة من
وجنته مشربة بالحمرة :

— لقد شرفنا يا شجرة .

طويلا أن الذكورى كان يقف جوار المكتب مكسرا بالفرح لما
صدقت .

— لقد شرفنا بحق

وأطمنى على خطاب شكر له وللعاملين بالشركة الذين ساهموا في
الاحتمال بعيد العمال في حلوى

— ستصبح مشهورا يا شجرة . الخطاب من رئاسة الجمهورية

قال وهو ينظر إلي ، ولابد أنه مكر أن صممت من أثر المفاجأة المسرة
الكبيرة ، وأمر لي بعلاوة استثنائية اعطيت لها وجه الذكورى حتى كاد
« يترك » دما وأنا واقف أكرر كيف تحرى الأمر في هذا البلد ..



خرجت إلى الشاطئ فوجدت عددا غير قليل . توقفت مقابلة ماجد
وحسين وعبد السلام فلم يأتوا . جلست وحدي بكنزتي يسو وجوه

لم يكن يتعد كثيرا عن الأرض . فزوجها وهي في الرابعة عشرة ، وصبر معها عشرين سنة حتى حملت لي . قلب « سمه أنت » قال « شجرة » صحككت . قال « شجرة محمد علي . لقد عرفت من قدم ابرم . سمعنا كاريبون ويكون طويلا كاللحل » وقال أن جد « سمى به الاسم أنه ولد تحت شجرة كافور خيبة المسك ، وصحكك ثم بكى ، لقد صدر أيا بعد عشرين سنة ..

وصبر ، ثم بسرعة مدعشة في بيتنا القديم في مساكن البلدية بكون الشقة . لم تعد أسمى تحكي لي قصة اسمي فلم أجد أمأله عنه بل أذاع عنه أمام الأولاد ولا أشكو . أراقب نفسي كيف يراد صوب فوق رؤوس العمال وكثيرا ما فكرت أسمى حين أكبر أكثر سأكون شجرة يحل فتخرج من مروج ها وري وظلال نفض عرقها العاصف يلفها الأطفال بالأحجار . أصحك وأخاف .. فجأة أصبحت أطول من أبن فكنيت « نحل من المشي معه أو مع أسمى بيتنا ينظر هو لي ويقول « تماما كما تميت من الله » ويصلي . كنت أملا الطرقات الواسعة صحبا ولعبا حول المساكن لتساعده ذات القرميد الأحمر تتوسط ضللا واسعا تحيطه حدائق معروشة بالحمل الأخضر الزاهي حولها العرق المعبلة بالأسفلت اللامع . لا عريب يمر هنا ولا سيارة . الأمهات يهلقننا منذ الصباح الباكر دون خوف فمتت أبصارنا ونحدد ويرتفع في الفضاء . أي صحر أرسه الله ان تلك البقعة الوسيعة التي يرتاح فيها الضوء . لابد أنه خلقها لنفسه فشر بها السكينة والوداعة ، ولابد أنه كاد يبتنا بحركتها لنا . الشمس تغمرها بالنصف والشتاء . المطر يصل شوارعها وللا تكة ، بالقرب منها مصحة الأمراض الصدرية حقا لكننا لا نرى عمر أشجار كافور وكاروبها عالية تحيط بأسوارها فلا نخاف . والأيام تنصلي كما تمسح الأم رأس طفلها كل شيء يوفره مرتب أبن الصغير ملاحظ العمال في جراج البلدية بالحصرة . شارع باب الملوك هو الشارع التجاري ، ومن ميدان الساعة بكرمور تشتري أسمى وجاراتها فضلات الأقمشة لمن ولأياجهن ولنا يشترى

أكثر الحاسير أليمة لكن لا صلة تربطني بأحد منهم . الوقت ظهر وكنت أكلت سمكيني من البطي الذي شويته بصبي . قالت أسمى أنها لن تأكل قبل العصر ، وظلت جالسة بالشرفة تنطلع إلى البحر . أخذت أتابع الأعمال المرحية في المياه وعلى الشاطئ ، والفتيات الصغيرات يتنادين وقد عذقت ألبدين حصور بعضهن ، ووقيت المقالات اللطيفة حول أصناف الطعام تحت الشمس ، وبالكائنات مفتوحة الجوانب . الشمس مبهرة وكل شيء حول ساطع يسبح في أمواج الضوء وأسمى ترفض خلع ثياب الحداد حتى الآن . تشيع في البيت صمتا مستبدا وأحيانا أخاف . اللون العصي للجدران يجعل ثيابها السوداء أشد قتامة ، وضوء الكهرباء هنا أكثر قوة ، وبالأمر قالت أنها سمعت صجة في الشقة للمقابلة فخرجت وطرفت بابها . فتفتح ها شاب هائل بالشقة الجعيدة فضحك وقال أنه النقاش الذي يلعبن الميطان ، وأن شفق الصاوة جميعها عالية لأن مستأجرها يعملون باللون العرمة ، وسألها متى وصلنا من السعودية ١٩ . ثم سألها ما إذا كان أحبها دهان شقتنا فقلت للحسد .

قلت :

— هل يضايك هذا الوضع ؟ لن أخرج كثير إلى المقهى بعد الآن .

قالت أنها مبسوطة ، وأنها بالنهار تراقب حركة الأولاد على الشاطئ والقريب ، والذين يصطادون السمك فوق المصغور تحت العمارة ، والمقن الرحلة في عمق البحر . وأجست وقالت أنها لأول مرة في حياتها ترى سفينة ، وسألتني لماذا هي كبيرة ويضاء ؟



هل تسمى رجل في هذا العالم أن يكون امرأة ؟ .. أنا . لو ولدت بنتا ربما أسمت وحدة أسمى لن تسمى أبدا أبن محمد علي شجرة الطيب الذي

الجديد ، وإلى « البيضاء » يغطون رحلة ضاحكة لشراء السورين والسماك
واللحم الخمري يأكله كأنه قول سوطاني . السورين يُمَلَح في الصيف
من أجل الشتاء . حول « الكابوتيا » ملتف نحو الصغار تعابثها بعيدان
احتشب في العيد الكبير يخرج للرجال إلى سوق الأغنام القريب فوق
حد الطوبجية لشراء اناجر واحراف ، وإلى « عامود السواري » تتشج
النساء بالسواد في بهارة لموتاهم بالأعياد والأفحة . أشم الآن رائحة الأزقة
الضيقة التي كنا نعبث لنصل إلى شارع باب الملوك . رائحة الماء
بالصابون للندوف في الطرقات من النوافذ العالية . رائحة الأغنام الكثيفة
فوق الجبل . أسمع نثررة المسار الأعور الذي قال أبي عنه أنه في الصباح
الهاكر وقيل أن يُلَاحِج إلى السوق يقسم بالله العظيم أن لا يعطف أي عين
صادق طول النهار ! .. هكذا كل السماسرة يلوذدى حلفانهم الصادق
الوحيد عن الكذب ، « وأرى رحام « البيضاء » للقاء بالضحك الهذلي
والشجر البريء ، والنساء يصحكن ويهتفن النعم فوق عريجات اليد
يشيرون اليهن « بالخاصة » . إلا أن المكان كله اضطرب . تحول الفضاء
لواضع إلى مركز تدهب على ضرب النار . تفرقت فيه المائيس والمدافع
المصادة للطائرات . دحمت البيت ضاحكا والقيت بحقيبي الجلدية فوق
السريز وهتفت « أعطونا أجدة عشان إيدن » . قالت أمي « يقطع إيدن
وسينه » . وضبطتني مع كوتر أغت هاني . لم أكن صغويا . كنت في
العاشرة وأقبلها خلف الباب كوتر تنشر عطرا طينزا تحرم أمها عليه
وشعرها الأصفر متروك بحرية عصف ظهرها ووجهها الأبيض أحمر نضو
وتدحبل شفت كحوا . الأظفار جهما يدخلون أي شقة لأي أسرة . أبواب
الشقق دائما مفتوحة طول البهار تخرج منها وقد دخلها أيضا قطط ، وأنا
أكثر الأطفال دخولا يرحب فأنا أسمر ووالدي أبيضان . وجدت نفسي
أقرب من كوتر أشم عطرها ولا أترجع . صفقتي أمي لأول وآخر مرة
أذكرها ، أنا ابها الوحيد ، وطردتني فنزلت اتفرج على العساكر الذين لا
يتعلون عن المدافع ولا تتزل عيونهم عن السماء في انتظار الطائرات

القادمة فوق السحب . ما كاد المكان يعود إلى عجلاته وزهوه حتى عندما
يلعب بذكرهاات جديدة . كنا شجما نلتف حول الجود وهم يطلقون
نيران المدافع على الطائرات التي تبدو كالنجوم ، وكرماء تقدم لهم الأطعمة
من بيتنا ، لكن السجيل مُحَل ، وباتت الحقائق جرداء في أكثر من
موضع . لم يعد لون الأسفلت أسود تتزلق فوقه أشعة الشمس . أقبلت
السور لها ملق راكدا ، نكسر فضيق بنا الصرقات . وسعل أبي وقال .
— دائما كنت أنظر إلى المصحة . أدركت الآن السب .

دقت أمي صدرها .

— عفتي يلتوى عصبها بها .

قَعَت في ركن تهكي ، وأدركت أنا لأول مرة أن المصحة ليست أشجار
كافور وكازوبون وإنما لها باب .

— كم ادخرنا ؟

رأيتنا نخرج من عامود السريز النحاس كيمسا طويلا من القماش ورأيتنا
ينظر إلى . هذه الحمى الغريبة التي عادتني مرثوي قبل امتحانات الثانوية
العامة ولم تتركني إلا بعد الامتحانات . لم أكن خائبا رغم رحلات السباحة
مع هاني وراشد . هاني في الكلية الحربية وراشد في كلية الطب وأنا أذاكر
للمرة الثالثة دروسا حفظتها وأخاف هجوم الحمى .

مر أسبوع اشترى أبي خلال قطعة أرض مائة متر . تحدث عن
« الدخيلة » وعن الجبل الذي يشتري به ثناس أرضا رخيصة . « إذا
مت متخرجون من السكن » . حَسَم الأمر . كنت سمعت عن الدخيلة
من قبل ولم أرها . وصلت إلى منتصف الطريق وبين انكس حيث
يوجد « معسكر الفتوة » الذي يذهب إليه طلاب الثانوي مرة كل عام
للتدريب على ضرب النار . في البيع التالي لشراثة الأرض أجبت
الامتحانات . وضعت فوق الاسكفيرة طبقة من الحر البليد ، وعه
غبار محماسي كاسح . لم تنفر معالم المكان لأنها كانت ناع

ندرى . انتشرت أكوام القمامة الصغيرة . تعطلت مقاعد الحدائق واحتجى أكوامها . وسقطت أوراق الشجر حول المصحة وتكسرت مروع هبات بواهدا وبظلمات للرصى الثالثة . بدا أن قصة سوداء تمسك بقلبي الدنيا ، وأن ماردا سيدق عظام البشر . انتشر الصراخ في الطرقات هزولت الروح شاردة في الشوارع تبعثر في أقدامها . لطمت النساء حدودهن حتى كسرن أسنهن وقع الأطفال يكون في الأركان المظلمة لقد تنحى جهاز عبد الباصر ودخل الميود البلد ..

استمعنا بحزن إلى القصص عن الجنود المبعثين حماية في الشوارع عرق الشباب هاربين من الموت ، عن الثغرات من مدن القضاة ، ولحلت التي تدفن بالليل ، بعمود السواري ، قادمة من المستشفيات البعيدة ، بدا أن الناس كرهت بعضها ، فأغلقت الأبواب مع اللبيب ، ونسبوا الظلام الرص والقضاء عجبت حقا في الثانوية العامة نكر بمجموع لا يؤهلني لأي جامعة . لم أحزن . لم تعدني رغبة في العلم وجدت عملا في مصنع بناء السفن الجديد . قلت لأنى سأكمل بناء البيت لابد أنه بعد أن لنفعل ما إلى الجبل كرهه فسم ينتظري كرهت المسقة كلها لكن أين أذهب ؟

اكتشفت أن الأيام طيب بارد لمز غير آتية بشيء . مع مرورها ازداد الزحام ، وكثر الأعمال . وانتشروا في الأوتة الشنة يلعبون ، وأدركت أن الجمال في الأشياء عادة تألفها ، ونحك هذه العادة أيضا قد عطف الإحساس بما حولنا . أنا لم أكن أكره الخيل ولا أحس به . حتى « معسكر الفترة » الذي كنت أنطلق إليه كل يوم في طريق دهلي وعودتي من العسل . وأتذكر كيف تنويت فيه على ضرب النار لأول مرة ، وكيف وضعت منديلا أمام كمنى تحت القميص لأمتص ارتداد البندقية للمور ، هد المعسكر لم أعد أنظر إليه ، ولم يعد علامة بارزة في الطريق الخالي . لم أكن أقصد النظر إليه في البداية ولم أقصد التفاضل عنه ، ولا أخرى ما لدى جعلني أضعها . أسس فوجد الثلاثة التي فوق بابها قد أزيلت ووضعت أخرى نعلن أنه أصبح موقعا لفترات الأمن المركزي .. ظننت أنني مثل ولم أدرك إلا

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« فاض الملل في غطة مخبر الأكسجين بشركة بناء السلس
أصبح مشهوراً في الاسكندرية الآن بعد بالذين أحد أهراب
الإشارة التي توضع للفلان منار ولم ينزل ، بالنهار أخذ يؤذن ويكرر
الأذان ، فصار العمال يتكلمون ويهتفون ويذهبون للفرجة عليه . جاء
رجال الأمن وصادوه فلم يستجب . بعد إليه أحدكم فاكشفوا أن
منه هذا الخلية ولا سبيل للوصول إليه . حضر وليس مجلس
الإشارة فرفض لداه ... تركوه لظل حتى اليوم الثاني أحضروا
زوجته وأطفاله الثلاثة وأعطوهم ميكرفون ينادونه به فلم يسم .
زوجته حيلة شقاء في ثياب مهلهلة ألبست شقطة المصممين ثم
ضيقهم . أطلقوا حيله الرصاص فلم يجر . تركوه لليوم الثالث
وتركوا زوجته وأطفاله ينامون تحت البرج فلم ينزل . حضر رجال
البوليس من الممرك ورجال الإطفاء والإنقاذ وصعدوا إليه من كل
ناحية فأخرجوا سكيناً من جيبه قطع بها رقبته .

« ٤ »

الاسكندرية آخر العام تكون توغلت في الشتاء ، تتجمع مودع
السحب السوداء الثميلة وتهب عليها « توتان » متعاقبات . ما يكاد
يتصاف ياتر حتى تكون للفتحة قد شربت من المطر بحاراً ، وتبدأ الشمس

حجل في الظهور بشرق الجو شيئا شيئا وتعمد الطرفان بالملحة ويحكى الاشتراك في استقبال الرئيس في السادس والعشرين من يوليو ثم يكن الناس عن المطر الذي اختروا الأسقف ، الرجع اتنى طيبت الزجاج شهر مضى على موت أمي . قال الدكتورى وهو يحرسى أنه سيقوم الاعتدوا التي دهمت الأشهر جميعا ، كميات التصب التي امتصوها باللمحة . عفت أن يطلب منه العمال أن يفعل ما أفعل يعرف حرق السمون الذي شربوه ، العدس والبصل والبرقال ، التيار الكهربى الذي عتَب حوقى وأنساق . عرفت أنه أنجز المهمة فقلت ربما فعلها وصارت سرا انقطع ، الرعد الذى أخرج الأطلاق وسط الليل ، أثيق الذى احترق مثل سرى الخفيفة أحست الدكتورى هذا المحيل شحج الوجه جدى السيش والرجاج ، الرجل السافى الذى طرد زوجته في اليد والظلام والمظلم يوم وفاة أمي ومعه نصوص أن تتحمل الشركة وسقاية كل المصروفات والهي ما يشاء من الباعدة ، والطعمة التي وقعت في الشربة فحتمها المولى

ومضى به برق في قضاء الشارع حتى أتوا الأرض بسلام تظهر للناس في الشرفات وفوق الأسطح يتعرص للنفس أو بشرى السيل ، ولا يبدل أن هذه المدينة أظلمت واتصل ليلها بهارها طلع هي لا يكف عيا الصراح عند الاستحمام وما تكاد أمه تطلقه من تحت الماء حتى ينطلق في البيت بالهجة والفرح . إلا إلى وصلت واحفا لهذا البتاء . كرهت انكاف السادس والسبعين هذا الذى اتصل بالعام السابع والستين واجتمع مع على . رومان حسين تبادلوا موقعيهما فاحدا إلى وأمي . بدلى موت أمي عقاب سماويها لكر ماذا كنت أفعل . رُمْتُ خطوة إلى الانام هل فينا من لم يوم ذلك ؟

فكرت كثيرا في حسين ومحمد وعبد السلام الذين لم يرددوا على . زلزلوني مرة واحدة صباح وفاة أمي حيث دهمت لعبد السلام بهاوتها فأحصرها بسورة رغم عنق صداقتنا لم يدخل ما واحد بيت الآخر نكفى دائما بمقهى ملقى على الضريح السريع . أصدقائي لا يحدوني إذا هم يكرهون البيوت والجدران . ربما فينا بنزه العرة رغم مايلو علينا من النجم .

فكرت كثيرا في حسين ومحمد وعبد السلام الذين لم يرددوا على . زلزلوني مرة واحدة صباح وفاة أمي حيث دهمت لعبد السلام بهاوتها فأحصرها بسورة رغم عنق صداقتنا لم يدخل ما واحد بيت الآخر نكفى دائما بمقهى ملقى على الضريح السريع . أصدقائي لا يحدوني إذا هم يكرهون البيوت والجدران . ربما فينا بنزه العرة رغم مايلو علينا من النجم .

اشترت تبغريون صب عشرة بومة بالتقسيط بعد أن اقترعت وأتب شهرين من الشركة دفعهما بدمعه . لم أشغل نفسي بدنى لعبد الفاكهاني انسى واسى في أمي وقال انه لا يتعجله . لم أكنم على اعتدلى عن علو

— سأخبرك بأمر أرجو ألا يزعجك .

— من هذا ؟

سألت مجاورى الذى رأته سمينا بلوحة ملقنة للنظر فضحك مبتهجا

كطفل .

— ألا تعرفه ؟ أنه سيد برشو .

— آه .

قلت أحاول إحياء ابتسامتى وعجيزى عن العهم وجدت نفسى
يعتصرق الصفح لأتقدم ناحية سيد برشو . لغطاب وصار مهر العمال
الفاضب يفرق شارع المكسر . تعطلت حركة السيارات والفرام ونرن من
ها . ضحت بولاد البيوت وأطلقت منها ساء وخيات وأطفال . منهم يرددون
الحناف . وأنا أحف خلف سيد برشو لماذا فى هذا الوقت بالدات أدقق
النظر فى وجوه النساء والعنات . زهور بيضاء تفل من أشجار هالية . لا
أسمع أصواتهم وأصحة مهدى أصوات العمال يرحم الغضاء ، وأعرف أنهم
يبتس من حركة الأقواء وتلويح الأذرع . لأبد أن الحكومة أعطت بالفعل
ومى مرفع أسمار هذا العدد الكبير من السلع . لا يمكن أن يكون الخطأ
عنه هذه المشهود المبهشة . لكن لماذا لا أشعر بالغيظ منهم ؟ لماذا لم
بصافنى ارتفاع الأسعار ولست غيا ؟ هل لألى أعزب ومقطوع من
شجرة ؟ . أم لأن الأمور تجري أسمى ولا أراها ؟ بركان يتفجر حول وجهال
تقع . بالنطول بالمرص . حجب الحكومة الأرض ... ماذا يفعل سيد
برشو مجلسا الشمسى دا يفى مو . يفى حرامى الملاحين .. ماذا
يقول سيد برشو . ياأمريكا لمى خلوسك .. بكرة للشعب العربى
يدوسك . الصهبوى فوق تراقى .. والمباحث على بالى .. سيد برشو لا
يخاف . قولوا لناسم فى عابدين .. العمال بيتوا جعابين .. وأدقق النظر فى
سيد برشو . خيال راح . أسمر وشاحب أنسكه بعيسى وأرى فى وجهه
عيني ذقب شرس . ثاقبتان عيله حقا وخاطعتان لكهما أيضا نديان .
دمع هذا الذى أراه أم سحابة حزن ؟ العمال يساويون حمله . صئيل
الجسم حتى لتحسبه صيا فى الرابعة عشرة ... كل احتفافات تتمرع من

وقال أنه منذ أيام جمع ، المقدس يحى ! على محطة الأوتوبس يشرح لرجل
كيف يحصل على التقود من الهواء ، فهو يشتري البيوت القديمة لحساب
عبدته الفاكهال . وسها بيت اشتراه منذ عام فى الجبل بألف جنيه ، وباعها
مذ أيام بثلاثة آلاف ، وأنه يفوز بمعمولة كبيرة من هذه العمليات ، وبه
السجاد والخصر التى يدور بها فى الطرقات إلا سائرا لا يتنظر منه تعما

أضيت لينة عجونة كدت فيها أحطم رأسى يدى . قرون قفل
الإثمن ، الفاكهال الذى يبيع الفاكهة المامضة ، والمقدس الذى يربا
اللقب من أبيه الذى لأبد لم ير المقدس قط ، ذلك القصور المربع السمى
الأشقر أحمر الوجه والحاجين قصور التراعين صغير الكفين كعشرة
اشتهت نصف لتر براندى لأول مرة فى حياتى شهت نصفه وثمت مينا



ذهبت إلى العمل متأخرا نصف ساعة . الإدارة تكاد تكون خالية
الجسم يعطون من التواضع .

— العمال يهدون المخرج .

— لماذا بمنونهم ؟ خبروهم أفضل وإلا حطمو الشركة ..

صوت العمال بأقى هادوا من خلف السور العالى الذى يحيط بمواقع
العمل ينفون . ما كل هذا الغضب الذى يملأ للقضاء .. انتقم
البوابات الرئيسية على مصانمها . إنلذخ ميل العمال وجرى بعضهم لم
الإدارة بمخرجونا مشاركتهم . مائة ألف عامل لو يهد وأعرف من غير
بالمفات فى حجرى أنهم عشرة آلاف . عشرات عمولين على الأكتاف
محت أحدهم يربط رأسه بحصاة بيضاء ولوح عاليا بتعديل أبيض
جنون إنه يجذب حلقه وحوله أكبر كتلة من تجمع العمال ويتقدم للناس
كلها .

هائه أو نبي عليه . الزحف جبلاً . شارع المكس الواسع يصيق بالميصان . سيد يرشو يرشو بالتوقف . المسؤولون يشيرون بعله . الجميع يقومون . يدخل هو وكنته بشرية ضخمة من زقاق جانبي . أنا معهم . كل شيء يبدو لي مخططاً ولا أصدق . نحن الآن أمام شركة « باتا » . هنا يعمل حسين . هل آراه ؟ عمال بناء السمس الاحرار ينادون عمال باتا لشراء . ماذا لو رأيته ؟ . ملأوا لو رأي ؟ أكثر عمال باتا من النساء والمهيات . أعرف ذلك . هاهن يتطلعن من القنود . يهتس معنا . أنا لا أهتمف الآن . أي حسين ؟ ماذا يفعل مع هذه الخفات من النساء ؟ لابد لا يرفع عينيه عن الأرض طول النهار . أبتسم . عاش بضال المرأة المصرية . سيد يرشو يجنون . أهتمف معه الآن . وددت لو ميزت صوتك بين الزئير المغادر . يخرج بعض المسؤولين يتفاوضون مع سيد يرشو . عاش نصال امرأة مصرية . يهتف ولا يتفاهس . أصبحك معاًة تطول وأنخير لا أدري لماذا الآن ، وفي هذا الموقف ، أنني جليفر في بلاد اسيبوس . نفتتح الأبواب زهدر سيل النساء والرجال . يختلط الحشيد وفكر أن كيف تفادى الاحتكاك بالفتيات في هذا الزحام الصاعط . لو تلمح عباى حسين . مسوئنا نكتف لتحنى بالأصل . مستحيل أن أرى حسين . مستحيل أن يعرف أحد أحتا . يا الله . هل هذه مسوئنا حق . رمتك لحلف حتى انقطاع النظر . احسم اليها عمال شركات الأمست والنشرون والكسماويات والديباغة القادمون من المكس وودى القمر والدخيلة . لابد أن شامة قامت بالفعل . هلانة مدرسة الوردية الثانوية وصايات انعميات وتلاميذ طاهر بك الأعددية . نزحف وطول مصاصي فكم مرة أكاد أتمثر . أشعر بالهواء البارد فوقنا . يحاكمنا بالباحث . كل الشعب بظلمك حاسس . أهتمف خلف سيد يرشو واتطلع إلى البودة الثعانية من جليد . فصل إلى كوبرى التاريخ فيكشف أن المسيو انصحة انتظمت وحلها . الرجال يشعلونها من الأمام . القيامة ستقوى لأن ! . عمال محالج ومكابس الأفتان يسدون الطرقات الجانبية . رجال

ونساء لا حصر لهم حفاة محرقو الثياب . على الكوبرى يصطف جرد الأمن المركزي بالعرض وخلف بعضهم يشكلون حائطا عبقاً . يشعرون عصيم الخيزرانية السمكية ، ويرفعون نروعهم أمامهم ، بين أرحامهم وفوق الأرض صناديق عديدة لتقابل مسيلة للدموع . من حلقهم يأتي أكثر من صوت للضباط يطالبون منا بالميكروفن الصرقي والإصراف حتى لا نتعرض للخطر . يبدو الأمر مضحكاً مسيئتنا تتوقف فعلاً هكذا أشار سيد يرشو الذى لا يزال محمولا . يتحرك كأنه يرحم فوق حصان مدرب على الرقص . كأنه يسبح فوق موج مشاعم الدهشت . اهواء يصغر شديد لفرودة يصفع وجوها فادما من اتساع المياه على يسارنا . كشت السحائر انقام أول الكوبرى معلق . وصوت راديو يتصرب منه . خمسة في ستة بثلاثين يوم ، غايب عسى وعاب النوم . صوت شادية جميل . لابد أن صاحب الكشك أغلقه على عجل . هو يلبس آخر موضة واحنا نسكن عشوة في أوضة . يهتف خلف سيد يرشو . يطول الوقت لا يمر الكوبرى ولا يهاجها الجود . موقف عرب حقا وسيد يرشو يهتف بحى رجال الأمن المركزي .

— ولد .

— من هو ؟

— سيد يرشو . ألا تعرفه ؟

يتناثر الحوار خلفي ، وسيد يرشو يتقدم ، ومحمد فندل يقف من الراديو المهيوس ياحلو صبح ياحلو طل ، وأنا مشدود ن سيد يرشو ، يتنطق في وجوها القنابل وتتمدد الدخان الأزرق فينبعث الكيرون و أرة كمر عشرى لكن الكتلة الرئيسية تظل متاسكة مترحم بين الكوبرى ختنا ونعوص في أجسادنا الخيروانات السمكية ونعوص بين الجود والهواء البارد يشتد ولا أدري كيف تطورت الأمور . حاجتى جفلى طويل ، ليس أطول منى لكن الخيزرانة المزهرة فوق جعلته عملاقاً ، نرا متقصا من

موق جبل ، وأتلقى الحيرراتة يندى اليسرى وأمسك بها وتحنى أحله من بين محبيه يندى اليسرى فأجده حقيقاً كروشة ، وربما لأنى جولر سور الكوبرى الححرى انعمى الأملس أجده نفسى ألقى به إلى ترعة المحسودية الراكده انباه العمة تحت للكوبرى وتسمع صوت جسمه يطش في الماء وكأنسى احتزعج حلا . عندنا طاع ولا عجة للجنود إلا بالهرب ، فالعشة ما يعمدون إحدى الواحد ويلقون به إلى الماء فتش فروع الحود يخبثون في شوارع بها البصل ، ويندع طوقانا في شارع السبع بنات ، ويتعد عن الكوبرى القديم اندى لا أعرف كيف تحمل هذا كله

بعد أنا الآن من سيد يرشو أنشأ خشود بكسى ودراعى اليه أى جى هذا الذى لم يسقط ولم يتوقف عن المتاع ؟ . طولى يجلسى أرى المجلات مضقة على الجانبين وليس بالشارع غيرهم واحدة مهجورة معها تصطم بوافلها وأسمع سيد يرشو ينهى عن التخريب . صوته تصح لى لأنى الآن لربب مه . المنظرهرون يهرفون قسم اللبان حين يروه عظاما بقوات الأمن وأمسك نفسى متبسم من جديد بالنظر إلى النوازل العالية . نفس النساء الجميلات واعتدت ناضرت الوجهه لكن يفتح أمامنا مبدىا المشتبه بإفاننا بهواء عريض تلجى وخشود زاحلة من ميدان عراقى . طلبة الهندسة . الآداب . التجارة . الحقوق . الجامعة كلها . حولر جائر حولى . احنا الصبة مع العمال . ضد تحالف رأس المال . وأتلف خلف سيد يرشو وأرى أضواء السعادة نحوى على الوجوه التى تشرىب نفراً الملاحظات لتقبله يحب بضال الصبة مع العمال . يحيا بضال الطلبة مع العمال لافتة عملاً المعصاء لى كل مكان ورثير ججوى كأنه الجميع مبحرق كل شيء . زئور حبرى كأنما تتوسط رعنا وزلا لا . زئور ججوى شخبطت من مرط صبعته البديات صرقت جامدة . لا تفرعا عربات الأمن المركزى القادمة في اتجاه مرور الخاطيء من شارع تبيعى ، ولا القادمة من شارع صلاح سالم أو شارع النصر أو الكورنيش أو ألقى في أفواه الأثرة ، ولا العدد الهائل من الحود الذى يرب من السيولوت يحاصرتنا . هذا حصار كذاب فحن غلله

الآن أرض فضلاء ميدانى عراقى والمنشية . غللاً الخدائق ويرحم الطوقاب وهديونا هو القى يعصف بالمقواء . يحلل النظام التلقائى الذى صنعه شارع المكس ومن يعله شارع السبع بنات ولا أحد يمر الآن العمال من الطلبة ولا الشباب من الصبيات وأجده نفسى جولر تتأين فأعكر أن ابعد لكر أحدهما تنظر إلى ه ايه ده . امت طويل أوى كده ليه ه . وتبسم لى ولزيميلها ولا أعرف بم أجيب الربك بختى . ه ولاد الكعب بلأرا المهجورة ه نقول وتبسم عياها ولا أراها بعد ذلك إذ تدوس اقدام على أجساد وزنم صبيحات أسود وصريحات حمام . وتطير لى لجو أحجار وهمتد المدحان الأزرق وتنفق أسطار حباب الرش المعدنية المنطقه من يادى الجنود لها وحما ، لكن الميدان يحنى في النهاية عا كما كما ، غاضبين لى فروح ، متبسمين بالمضارة والرد دم جديد طلوح بكسب لى عروق صغير انواء البارد فوق وحوى زيف أعلام . أرى الحود يهرون لى الأثرة تلاحقهم جماعات صغيرة منا لى وضع مشر للإشفاق . التذكر الفتاة الغربية فأبسم . لا أعرف كيف احترف مبنى الاتحاد الإشتراكي القديم الذى عاد بورصة كأصله ، ولا كيف انفسمت المسيرة إلى طريقين . شارع المعرفة التجارية والكورنيش ، ولا اندى جعسى على الكورنيش . لابد أنه سيد يرشو الذى أمانى

تقابلنا أقال أخرى من الطلاب تتحجم بنا ولا أعرف إلى أين تتجه هواء البحر الصاخب يحمل بازرداد ويحمل ذؤابات الموج يفلها بها فحبرى صاحبكى ويتمد حبشنا إلى الأمام . يهترق مضطرب بشار ومصطفى دويش ومقهى شوفر وتيسيس ولويسينور . من أين أنت كمية الحجارة التى قصفناها فوق الجنود المساكين ؟ كيف انصاعت لأيدينا بلاصات الأرجفة كأنها مصعوفة لى انتظاريها ؟ كيف صارت الساعة اربعة وكيف عوت من الدم والمخاد فى محضه الرمل وأمام جامع ابراهيم وفى السلسلة والشاطبي . انتهى الحرف وحيدا من محطة سيدى جابر . شردت عنهم أم شردوا عسى ؟ كنت معهم أم مرت نصف الضريق وحدى ؟ كيف احصى

سيد برشو عى عيسى وتقطع الخيط بيني وبينه ؟ تذكر انى سمعت من يأمر بالعودة الى انشبة مرة أخرى . من يدعو للإحصام بالكليات . لا أذكر أى فكرت فى أى من الدعوتين . إذن هنى قدامى حملتانى بعيدا حول الشوارع حالية من السس والمركبات . لوتويس محرق فى شارع جمال عبد ناصر ، ورام محترق أمام المحطة

أفكر الآن فى العودة . أتذكر أن هناك قنادلا يخرج فى المساء من محطة مصر : الى القاهرة يمر على محطة سيدي جابر ويدور خلف الاسكندرية الى محطة عزم بد ثم القبارى والمكس محترقا بعد ذلك الصحراء . ذلك شيء عرفته منذ سكنت باندخيلة . هذا إذن طريقى اليوم ولا طريق عيو ، ومن مكس أنشى الى الدخيلة .

تقدمت الى محطة متعبا . المساحة الواسعة أمامها خالية من السيارات والسيارات . المحطة نفسها خالية لا مسافرون ولا عمال ولا حراس . نوافذ حديدية وأبواب حديدية وجدران جامدة انجيزية الطراز . جلست وحيدا على مقعد خشبي بارد تزيد برودته من برودته . أدهشنى انجيزى بعوزان جنسى شرب . الآلاف التى تظافرت اليوم لو كنت قائمهم فى مسيرة سمية كم تنور لي من بقود ؟ مسحت المحطة بمعنى بأنها أشمر بانيه مختلفا عنه فى الصباح . فساد ودراب هوائه أكاد أراها ثلجية اللون تملد فى هياج تعبر الأوراق فوق الحورص والقصبان . الأرضة الصلدة الطويلة اخالية ممتدة للمدى ... لأشجار القليلة عارية . رجل بعيد جانا يتبول لا أرى إلا ظهره أسود الثياب . عشى فى الغضاء ينقل المكاب بالظلام القندم مسرعا . هذا هو الشتاء يحق وهذا هو السفر . انكفأت واضعا رأسي لمكدود بين يدي المرفقتين . مدت ساقى فى استرخاء مستسلما لتعب طمع وجوع كاسح مسطرا مطارا قد لا يحىء . وأجهشت فى بكاء كأنه زفير

• عاد مديرس كان معادنا الى الدارلة . برفقه لم تصل . فتح باب شقة بالنساء ودخل يندوء ليلا جريء زوجته وطلبه بالسعادة . فتح باب غرفة نومه لوجد زوجته تحت رجل نظرت إليه ونظر إليها . عاد يندوء الى الخلف . عرفت لدماء باب الشقة وهو يسر بظهره . خرج وجهد السلم بظهره أيضا . نزل الى الشارع بظهره ومضى فى الطريق بظهره وكل من يراه يوسع له فى ارتباك ، وطفلة اللذان برزا من أسد الأذقة بانهانه . ينظر اليهما وينظران اليه . يد هما يديه ومدان أيديهما لا يستطيع الوقوف ولا يستطيع التقدم عولنا وكلما لمسكا يديه ألقا منها فلا يكفان عن البكاء . الشكندرية كلها صارت تعزله . يفسح له الناس الطرقات وتقف له إشارات المرور والسيارات .. انعطى الرجل وطفلة وأوشكت الناس عساه لكنى خلعت به وقد حلل باللعناء يدور حول الأرض ، وبطلبه يدوران حول القمر ..

« ٥ »

فى الشتاء حين يعزىد بالليل الهواء ويظهر الأوراق المهملة فى الصفقات ، ويصرح فى الأزقة ، وتنطق الأنوار فلا غير بسهولة بين الياس والباء ، يصبح المقهى بارده رطبة ، نمتنع عن الخروج دون ائفاق سابق .

في الليالي الدافئة تنقابل دون موعد أيها . في وقت متقلب نخرج .
نتقدم في الشوارع الجائية على مهل جولر الجدران القديمة التي حال
لونها . يحدث أن يلقي الواحد منا الآخر ضجأة فيتبدلان الأجسام .
يتصامحان يصحكان . يشيان إلى الملقى معا . ألم يقل حسين أننا
مصبوبون على ساعة سرية . تلك قاعدة صار القدر يربتها ، ولا يجب
النقاء في الاستثناء .

الليلة لا سبب الطائفة النقيبا سيكرين . جلسنا متجاورين . تعلقت
عيوننا بجهاز لتعريفنا انعش على رف عال على جدار دوة المياه الصبوة .

— سنبدأ المسودات يا شجرة .

قال حسين . قلت :

— سأجد طريقة للاحتلال .

— لئلا لا تشارك حقا ، هل تصور أن ما حدث لك أول العام
سينكرر ؟

قال عبد السلام مشيرة إلى ولعة القبض على بعد مظاهرات يناير
لماضي . دنت الحادث الذي أزيكى كثيرا ، والذي لم يقدف منه غزو
شهادة رئيس مجلس الإدارة الذي قال :

— نعم شجرة متعهد مظاهرات كما بلعكم ، لكن مظاهرات مسلمية مما
تقوم به اشركة لاستبدال سيادة الرئيس وضيقه . شجرة أكفأ من يؤدي
هذه المهمة ونحن نحمد عليه دائما .

كدت أصرح أن الذي حُرِّجت المظاهرات جميعا . حطمت أعمدة
النور خلعت بلاط الأضواء ، حرقوا المواصلات ولللهي والقسام
البويس لمسى لا أقوم بالمظاهرات المسلمية كما يقول إنما أنصب وأحتال ولم
يحدث أن أكنست واحدة منها .

لقد قبضوا على في القجر بعدد من الجند امتد على السلم من الشارع

حتى السطح ولا أعرف كيف فتحوا باب العمارة التي لا يسكنها عيرى
والذي أحوص على إعلاقه بالمفتاح كل مساء . كطمت غيظي وجموني
أنظروا سراحى في القجر أيضا . دارت عيناى في حى الفراغة الهادئة
الدى لم أمش فيه من قبل . هل يعرف أحد أنه في حد الحى الجميل تقع
مباحث أمن الدولة . أشجار مهذبة تلمع أوراقها الرصاصية أشجار
عارية أشجار سامقة الارتفاع شوارع معسولة بانظر وعمال البلدية
يهوت محاملة بالأسميحة والحداث . البرد لمبر والسما تهذبل بنفط ربيعة
من المطر . أسرعت واضعا يدي في جيبى بظلولي . لا أحب الليل . لا
اعتقد أنى سأرتدى بدلة إلا إذا تزوجت ، ولا اعتقد أنى سأرتديها بعد يوم
الرفاق دفعت وجهي ما استطعت في صدرى وبين عضدى . رأيت
الاسكندرية في يومها لأول مرة . مسترخية هذه المدينة تنهد في طمأنينة ولا
تدري بشيء

اعتذرت في الأيام التالية عن عدم المشاركة في مسيرات التأييد العارمة
التي خرجت من المحافظات إلى قصر عابدين . ذهب الكوروى بالعمال .
كانت المرة الثانية بعد السادس والعشرين من يوليو الماضي . قال أنها
فرصة لؤكد فيها كلام رئيس مجلس الإدارة عنى . أدركت أنه يؤدي المهمة
كاملة ، وأن سرى لم يزل في البر . قلت بعد أن يمر عام على وفاة أمى .
بدا محترما نوعي في أول مايو تقرر أن يذهب أعضاء النقابة فقط
للاحتفال بعيد العمال في القاهرة . في السادس والعشرين من يوليو جاء
الرئيس إلى الاسكندرية بالهليكوبتر فألعبت الاحتمالات ، كأنهم يعرفون أن
شهيتي ليست ممنوعة الحقيقة كنت مذهوفا . تذكرت فرزى بقتل
عبد الماكهاى والمقدس يحيى فشملى خوف عريب . صرت أهدد الابتعاد
عن الناس جميعا . بل ذهبت إلى عبد الماكهاى أرجوه أن يعطيني مهنة
في نهاية العام موافق على العور . بدا هو أيضا خائفا منى لا أدري لماذا .

قالت المقدس يحيى فاعرفت اليه اصابعه فشد عن الطريق . نادته

وصاحته ورثت على كتفه وكان وجهه الأحمر صار أصفر فشجته وقت
سأحتاج يوما لبعض السجاد فقال : « هن إشارتك » ..

الكلام جلتا .

— كيف يفعل ذلك ؟

تسائل ماجد كأنه يحدث نفسه . خلع نظارته وأخذ يمسحها بمديل
أدركت أن أحول الجدل إلى هزل . قلت لحسين :

— ما هو أجهز عليك بمشور .

إنتمس واجر وجهه . لم يجد الالتصاق إلى غايتها . لم يضحك ولم
يضحك ماجد . عيد السلام ابتعد عنا يمشي مهلا في صلام الشارع .
بنح كلامي . أغوص في السياسة ولا أدرى . لقد تكلم حسين عن نفسه
مرة فقال أنه موظف يحتاج لدفعة هائلة ليعزج . فشل مبكرا في التعيم إلا
أنه استطاع الحصول على الثانوية العامة بعد سن الثلاثين بنظام امتاز
وانتمسب إلى كلية الآداب قسم تاريخ وليس لديه الوقت الكال حفظ
المواد والمجرب والدراس التي يسو أن البشرية لم تكن تفعل غيرها ،
فهو يقصى عامين في العام الدراسي الواحد . وهو أيضا مصاب بربو
خفيف تخفيف لكنه ربو . ضحك من هذا الوضع العجيب وقال أنه
لم يجد نفيرا في هذا البلد الذي يكافح هي ثلاث جبهات ، الفقر ،
والجهل ، والمرص ، وإدفع بالصحك وهو يقول أنه مثل ثورة ربو .. في
دنت الوقت طال صحتنا . لم يبد أنه عجلان وظل وجهه مشرق .

طلبت من حسن الجرسون أن يحضر لنا الطاولة . نصت أن يمدلى
حسب واحد ، نكتها أفلا على اللب . أن عيد السلام من الشارع
نظم « السلام عليكم » قال وصافحتا وجلس ونحن ننظر كل منا
للآخر . لقد كان عيد السلام معا منذ قليل . هو نفسه أدرك ذلك
لنه أدرك أنا صاحبه في دهول ، لذلك جلس صامتا بعد قليل صاب
معا . عاد التيار الكهربى والمفهى خدلة إلا ما . ثم يشعل محس حرسون
التعريون ولم يصب . تحدثنا عن التصنيف وكيف مصى دون أن يتقى
سألنا ماجد عن أحوال الصيدلية المحلية التي استأجرها . حقق ماجد

— هذا مطار مقدس .

قال حسين وقد انتقل الإرسال إلى الذاعة خارجية .

أشعل ماجد سبجارة .

شحب وجه عيد السلام .

— ييجون .

— ديان

— وجوبدا .. بص شكلها

احرار بالمقهى يطلقه الغرباء . انفتح باب الطائرة صحت عليها
الصمت . السادات يتقدم يصاح وعشاء إسرائيل بالتماسة مريضة .
بدعب جولدا ويشد على يد ديان كثيرا . أسنانه لامعة وشاربه مهلب .
فكرت في الشارع الواسع خلفنا كيف صار خاليا وكيف لا يسمح أصواتنا
لسكان الجبل . صمت ووحشة يملآن قمصاء علمي مع الظلام المهابط
مسرها . جالس أنا على حافة جرف يطل على واد صحبي . دفعة واحدة
لي الخلف فانسفت ميتا .

— لحس حبيث ناصم كأنه أنين العاجر للمهور

قال عيد السلام معلقا على السلام القومي الإسرائيلي . هضر واصفا
يديه في جيبي بظنونه . دار حولنا مطرقة وانقطع التيار الكهروفي
حسين وقال ماجد « أحسن » وشفناه ترتعشان

م سرك فلقي . على ضوء الشموع التي أشعلها حسن الجرسون قليل

حلمه ولم يعد يعمل عند أحد . قال أن إعلاد الصيدلية هو الذى شعله
عنا . الآن صار يجد وقتا بعد أن وجد صيفيا يساعده . وحلثنا عيد
السلام عن صحة والده التى تدهورت كثيرا بسبب البروستاتا . قال أنه
يتقدم في انشاء نكر للسراحيك . وقال حسين لى : انت طيبا لا
رلب بكر فى غطة لقتل عبده الماكهاى والمقدس يحيى . ضحكنا .
أجل صبحنا بقوة وسأله لماذا لم يكن يأتى هو أيضا . قال : أنتم لم
تأتوا .



— طبعاً أنت حزين لأنك على الأقل طربت مرتين ؟

قلت لعبد السلام فى الطريق . كنا تركنا القهى ولوشك الليل أن
ينتصف . تبينا متأخرين أن حسين تخلف عنا ويقف وحده ينتظر
الأوتوبس تحت مظلة . بعد قليل دخل ماجد بينه المظلل على شارع
الجامع . أصبحت كالعادة وحدى مع عبد السلام . نسكن لى شارع
واحد .. هو لى منتصفه وأنا فى نهايته حين يطل على البحر .

سادنا صمت قصير حين مكتوم صادر من قسم البوليس . أرعشتنى
سمة نولمير . رأيت المحلات مظلمة على الجانبين .

— لا .

مشينا نبتدأ أحباتنا عن بعضنا لى الجانبين ثم نعيد فتجولر .

— ماذا نعرف عن الصيلا الموجودة بشارعنا والتى بها شجر الياسين ؟
سأله فجأة . لا أعرف لماذا اخترت هذا الوقت .

— هل شاهدت بها أحدا ؟

أدركت أنه يعرف ما أود الحديث فيه .

— كل يوم فى الصباح الباكر أرى وجهها جميلا يطل من النافذة .

وجهها صوبها كأنه نور نفسه . وأحيانا يحدث ذلك بالليل . اليوم
أشارت لى بيدها .

عدنا لى البيت . الطريق صاير مليحاً بالحجر مجاة وأكاد أتفر أكثر
من مرة .

— ابتعد عن بيت الياسين هذا .

لم أفهم . لم أشأ أسأله للمنا . الحقيقة أريد أن أسأله . أكاد لقد
شدنى رائحة الياسين منذ انتقلنا من الجيوب الى النصار . الميلا
الرياضة خلف الصور العالى المكمل بالزهور البيضاء والصفراء بدت لى
شفا صحرى وعامضا . بولدها العالمة الدائرة . جدرانها المستديرة
واعمدتها للرخامة وكل شيء فيها يبدو متفذا على مهل لى راحة واتساع .
الوجه المشرق الذى أراه بالصبح والليل يحفر عيالى وفضولى . يكاد يضيئنى
عن الأرض . يحرك الرغبة المدوية فى الزواج ولا أستطيع التصريح لعبد
السلام .

— بيت الياسين هذا أقدم من عمري وعمرك . أرى وأرى وكل الناس
تعرف ذلك . ضربت كثيرا لى طفولتى بسبب تسلقى السرور وقطلى
الياسين . صاحب البيت وزوجته يحبان العزلة فلا علاقة لهما بأحد .
ينجبان الفتيات فقط ، وينجبان أهل خلق الله ، هذه حقيقة . وأسعد
الناس من هازر بمجرد الرؤية . ذلك يحدث بالصدفة ، ولا أصدق أنك ترى
وجه الفتاة كل يوم . الرجل وزوجته لا يسمحان لباقيهما بالخروج لى
الشارع أو للمدينة أو للعمل أو الانتظار خلف النوافد . قد يسمدك
الحظ مرة فى الصباح الباكر جدا ، عند العجر ، قبل أن يستيقظ الرجل
وزوجته ، لكن هذا نادر بالليل حيث يلف الظلام الحديقة وتعلق النوافد
العالمة بالشيش العليط صيفا وشتاء . لقد نسيت أن فى شارعنا هذا
بيت ولا أشم رائحة الزهر . اشتقت له مرة واحدة وأنا محاصر لى الجيش
الثالث . هل تصدق ؟ كان فى الجو رائحة الدخان والبارود وأنا أشم

للحظة كالنور الخاطف والحة الياصمين . أوى والله . لكنها لم تتكرر . بعد
أن عدت وأقبل الواحد لفترة . لم يسعني لخط مثلك مع أنه لم يعد
بالبيت عبر بيت واحدة .

— كيف عرفت كل ذلك ؟

سأنته مبهور الأعاس . سأنته على الفور كأنى كنت أنتظر آخر كلمته
يعود .

فان .

— الأسرار معروفة رغم العزلة . الدخنة كلها تعرف سر هذا البيت .
رى تعرف الاسكندرية أيضا . هناك حركة تتكرر كل سنوات . تأتي
محدى البيت هجدة من الخارج وكنية تاكسى مع رجل فى وضوح النهار
وتنزل حمنة طفلا . نفس التاكسى لا يتغير . نفس السائق . تنقلت
حولها محطات قبل أن تنفتح لها البوابة الحديدية تنفتح الى الوقت
المهيبة والشرفات كأنها تعلق حضورها . يعرف الناس أن إحدى المفتحات
تزوجت منذ عام .

— عالية غريبة !

قلت كأنى اتهد .

— لا أحد يعرف الخطأ من الصواب .

قال وينوق بمسك يسى . فى اللحظة التى فكرت فيها أن نعبد السلام
أسراره وأنتى لم أعرفه جيدا بعد رأيت قطعا من الأعمام البيضاء يخرج من
أحد الأتوة ويثير العبار مشهد غروب فى هذا الوقت من الليل . والقطيع
الذى صار يمر أمامنا يشو أن ينتهى .

— الا تلاحظ شيئا ؟

— معظم الأعمام بثلاث سيقان . معظمها يهرج .

— كلها .

بحوقى . كذبت أبوح . قال عبد السلام أنه يكاد يتقيأ . انتهى القطيع
وظهر خلفه رجل مغطى بثياب كثيرة حول جسمه وكعبه وعنفه .

— إنه أيضا يمشى بساق واحدة ويقفز على عكاز .

غمرنى عرق ووجدت عبد السلام يستند على خراعى . مشينا بصحوبة
ولا تتكلم . كنا فى اخلاء الذى يفضى الى شارعنا وقد تركنا الدخينة كلها .
تقريبا خلفنا . احسست كعادتي بأننى يسبقنى ليشم رائحة الياصمين قبل
أن تصلنى . توقفتا . تاكسى مغطا الأتوار يقف أمام الفيللا . البوابة
الحديدية تنفتح وراها تخرج مرتدة ثوب الزفاف الأبيض الواسع يتخايل
ضوؤه وسط الظلام والتاج على رأسها يرق به المصومس البيضاء أيضا
وجولها عجوز يرتدى حلة قاتمة ولا صوت . رأينا السائق يفتح حما باب
التاكسى ورأيناها يدخلان وحسنا البوابة الحديدية تعلق وتحرك التاكسى
مهلا على أرض الشارع غير المسهدة قادما نحونا . لم أشتأ أن أنظر الى وجه
عبد السلام ولعله كان مغل . ما كاد التاكسى يتجاوزنا حتى التفتنا معا .
رأيناها تظر علينا من خلف الزجاج . تنظر الى أم الى عبد السلام ؟ لا
يقن . لم يفه أحدا بكلمة . صرت وحيدا بعد لحظات . كيف تخلف
صديقى عند منزله لا أحس به ؟ هل ودعنى وليسيت ؟ لماذا أكاد أتلقت
حول ؟ لم يكن معى شيء وضاع . صعدت شفتى وفتحت النافذة . يا
الله . أنا أيضا لم أشعر بهواء البحر البارد عند مدخل العمارة .

تطلعت الى كتلة الظلمة الممتدة بحجم الكوب وصوبه السلبية البعيد
للشاحب المزروق . هذه الساعة تقف منذ شهر شارع البوعاز . على
يقين أنا أنها هى نفسها رغم أنه لا موه فى الجر ولا عواصف . سمعت
صوت اللوج . غاضب . قانع . متحادل . لا أدرى لو الفى يعنى ص
انصخور الحشرة الصلبة . سأموت . ليكن . هذا الماء العبي لا يفعل
شيئا غير لك والجزر طوال ملايين السنين ، ووحده ، مع نفسه ، لا
يشاؤك أحدا فى شيء ، ولا يبال بالسفن التى صارت تلوس موقه ، ولا

بالعنايات التي تلقى فيه ، ولا الأسلاك التي تتلحح تحته . هل يضير العالم
شيئا أن يعقد أحد أهبائه المُهْمَلِينَ ؟ .. لكنني فكرت في استقبال المعتد
من القدس بعد أيام ..

«لماذا لم يعد هناك حديث للناس غير الشيخ لاثين راعه
مسجد سيدى القلال . صار يوم الجمعة كأيوم حرفة من حرفة
الزحام بالجامع وفي الشوارع وفي أسطح المنازل . الجميع
مأخوذين من عطف الشيخ القارية وعونه فيما لم يعود الوعاظ
الخواص فيه . صار معروفا أن الشيخ لاثين لا يقزم بالخطبة المقررة
من قبل وزارة الأوقاف كما أنه لا يوتهل بل يخطب خطبه من كتب لا
يصل إليها أحد

عند أصبح لثني عظيم بدعاء قال فيه : اللهم انصر أمة
السلام على جيوش الفريضة والظلم ومن ينالي منهم . اللهم أهد
خطبة المسلمين للمسكني بالله سليمان وبورك لي بنى العباس .
اللهم أهد سلطاننا الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون
وعساكره . ولا يزال الزحام ... »

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« ٦ »

ما الذي دعني الى هذه الجولة ؟ . هل هو لقر بيت الياسمين ؟ هل
أملت حقا في فتاة النافذة ؟ . لو صح ذلك مسوء الحظ صار يلازمي
وإذا كان موت أمي جاء عقابا على خطيئتي الزواج ، مسوء الحظ بأن

عفاها على موت أسي . أي دائرة جهنمية وقت بها . لعاني لذلك
ترددت لكن ما كادت الآتوبيسات الثلاثة تصل دمنهور حتى أوقفها .
انتحيت بالأسطى زعيم جانب الطريق . قبل أن أتكلم تكلم .

— قلبي يأكنى هذه مرة ؟

أصابي بالصمت . قلت :

— وأنا أيضا بكرى منعود من هنا ولحدث ما يحدث .

أشرت الى السائقين الآخرين فانهما إلينا . الأسطى عباس شاركني
من قبل .

قال الثالث :

— متأخذ جنيرين من كل عامل فتوفر ثمانية ، نعطي كل واحد

مالة ، وتأخذ خمسمائة لنفسك ؟

— إذن لا تعترض على لبدأ ؟

— لكن القصة بالمعروف .

— تأخذ المائة جنيه أو لا تأخذ شيئا .

وكأنني قررت الانتحار عدد من العمال ينظرون البيا من خلف
النوافذ ويضحكون . تكرير خروجهم معي وهم في العادة يتزبون إقناع
الجدد . عددا من دمنهور . أعطيت كل عامل ثلاثة جنيهات من الخمسة
التي قررت له هذه المرة . في الاسكندرية أخذ السائق المعترض المائة جنيه
وانصرف ضاحكا . كنت أدرك أنه يته وبي نفسه سيقل ما أعطيته له
وسيعطى أنه لن يستطيع إنشاء سر يستند لخمسمائة عامل وسائقان
لإنتكاره . في المساء ذهبت الى عبده العاكهاتي .

— نشترى مني البيت لصالحك وتترى مرتين ثم تبيع بثلاثة آلاف
جنيه قبل أن يدرر العام . لن أدفع لك شيئا وسأعرف كيف أخذ منك

ما دفعته كله .

قلت ومضيت . تحيلت في يدي شطه نار أجرى بها مجنونا أحرق
اليوت والحلات ، وهروا هو كثيرا جوارى ورأسه لا يكاد يصل الى
صنري ثم وقف أمامي فاردا ذراعيه إلى الجنبين . صرة فوق رأسه نبحر
عه . فكرت وكان يتسم صغرى . عدت معه إلى المنزل والباسي تتخرج
على المشهد العريب .

— من الذي اشترى البيت بثلاثة آلاف جب ؟

— أحمد كاريوكا

— وهل يملك ثلاثة مليحات ؟ هل تصدق ؟ لم أنه مضى وقت

طويل على ذلك أنا لم أطلبك حتى الآن بانائتي جنيه ، ولقد مرفت
إيصال الأمانة .

وكان يتسم وهو يتكلم واقفا من نفسه أشد اللفة . جعسى أذكر أن
أحمد كاريوكا هذا يقوم بتصنيح وواير الجار ، ولا أحبه يكسب في هذا
الزمان .

— يا استاد شجرة أنا الذي اشتريت البيت أول مرة بالنعس ، وأن يصب

أسي اشترته ثالي مرة . لنفقر يمي وأحمد كاريوكا وأمناهما لعب في
يدي زينة

— ماذا تقصد بالصبط ؟

— أولا بينك لم بكرى يستحق أكثر من ألف حبه . ثانيا أنت موظف

لا دخل لك بما فعله . وعلى كل حال ستعرف بعد أيام .. ثم أسي
أشرت بقية شفق العمارة بثلاثة آلاف حبه مشقة الوحدة . إذن
أكرمتك . تستطيع سؤال البكاس عن ذلك .

كان يزداد اجتمعا وهو يتكلم وأنا أكاد أقف على أصابع قدمي .

— هه .. السكان كلهم في الدول العربية .

— ياسيدى مصير البترول بخلص ويوجدون . البترول ليس إلا بتر وكل
برونه قرر . وربما تقوم حرب وتولع الدنيا ..
— هل مرفت عملا لإيصال الأمانة ؟
— كما نحب !

وظل مبتسما . ألقبت إليه بالماكنى جيبه فأخرج الإيصال من جيب
صدارة . رأيت أظفاره حمراء . مشيت ولا أعرف لماذا كنت أهد أن
أصحك . !



— كم حسابك فى البنك الآن يا ... شجرة أختنى ؟

سألنى رئيس مجلس الإدارة بعد أن وقف وفار خارجا من خلف
مكتبه . نظرت إلى الدكرورى الذى يقف مكشفا جوار المكتب بعض
على شفته السفلى .

— أى حساب يا الخدم ؟ . أنا ليس فى حساب
— تأخذ نصف ما يقدر للعمال وتعود بهم من منتصف الطريق ؟

ابتلعت رفقى فلم أجده . لم أزد . كان يقرب منى موشكا أن
يصلبنى .

— وأنا أخصيت من المباحث . أنا الذى كنت عميدا فى الجيش لم
يضحك على اليهود وتسخر أنت منى . سأعرف كيف أصجنتك .

كان يتكلم وقد دار حول نفسه يعود الى مكتبه . صوت نظرى حدا
إليه بعد أن جلس الخفيفة كنت مصعقا من المفاجأة . إلا أنى رأيت
يخلص عيبه ويرعى مرفعا هديه . أصابنى ذهول وكترت أى متصر .

— لا أعمل ذلك وأظن أنه سبق ووصلكم خطاب شكر ، كما أن

الدكرورى خرج أكثر من مرة مع العمال ، ولو كنت أفضل ما تقوله لكاد
عرف شيئا . هل عرفت شيئا من ذلك بالدكرورى — ولم يرد
الدكرورى — ومن هذه المرة بعدا كثيرا حيث لم يستعبد أحد موقعا فى
طريق مطار القاهرة وحدها كانت هناك موصى ولا أحد يعرف المشاركين
الحقيقيين

استعصت لاستمرار فى هذا الكلام كله . لا بد أن أحدا غيى هو
الذى مكلم وجه الدكرورى ثقلب إلى صدمار فاقع وحبته يكاد
يتلانى كان كلامى عن طريق المطار كما رأيت من صور تصدث
الصحب بعد عودة الرئيس

— اسر إمش من قدامى
صرخ فمشيت وحلمى بهرج الدكرورى على السب أمسك بدراعى
تمضت يده عنى وتركته مدعورا

احتفظت بالاشماله جنبه الباقية معى عيى لأى عقاب . كل من
بالإدارة من الرجال والنساء يقاسى فينسى ووجهى أو فى الأرض دار
الخمر كما تموز الماكيات إذن ونمت فصيحنى اكتشمت أن أكثر موظفى
الإدارة يرمونى من كثرة ما واجهت من ابتسامات وأن الذى تصورت
بمى مفيا لطول عمل بحجرة ليس فيها غير الملفات جدران المسائق
الثالث ليقيم فى أنه ما أبلغ أحدا بشيء ، وأبدي استعداد أن يعيد لمالة
جنبه قلت أنا للمسؤول أولا وأخير وأنه لو أبدي رغبة هذه أمه أى أحد
سصبح كنا وربما كان أقل جزاء هو الفصل من عمل فى النساء
اعترض هذه الماكيات طريقى وقال ضاحكا .

— بعث البيت بعشرة آلاف جنبه .

— وما شأنى ؟

— ألم أقل لك متعرف بعد أيام ؟

لو أمسكت وجهه يدي سأعصرها عصرا

— لنصك أيضا ؟



اعترفت لحسين وهاجد وعبد السلام بكل شيء . فكرت كثيرا ألا أفعل من كنت في حاجة لأن أخرج بعض اعم عن نفسي ؟ . وكنت أقطع الحديث . وكنت خائف أن لا يفهموا مما أقول غير الحقيقة ، والحقيقة أني لست . لكنهم ضحكوا . ربما يحاضرون على مشاعري . لكنهم استمروا يضحكون . لم يستكروا مما فعلت غردلة . في كل ليلة صاروا يطلبون أن أحكي احكاية من جديد ويضحكون . قلت أني بقدر ما أشاركهم الصبح أخاف كل يوم أذهب به الى العمل . رئيس مجلس الإدارة يستصيح عن الأكل أن يجري على دفع ما أتخلته من حقوق العمال عن كل مرة خرجت معهم ، وفي هذه الحالة لا يكون أمانى إلا أن أعيد الشقة لى عمه الفاكهائى وأهيم في الطرقات .

قال حسين أن الناس سرعان ما تنسى الفضائح ، وقال ماجد أنى ربما أجد من يؤيدى ولو له سره ، وقال عبد السلام ربما يأتي يوم نصبح فيه حكيمى بطولية بحكيها الناس كنادرة من نوادر الشطار ، ثم ذكرى حسين بأن أسبوعين قد مر على مقابلى لرئيس مجلس الإدارة ، وأنه لو أراد أن يفعل شيك لكان فعله .



فجئت بالثلاثمائة جنيه حسابا في البنك لأول مرة في حياتى . لم أصدق وأن أقرأ جريدة الاهرام في التوبريس . قرأت الخبر أكثر من مرة . أخذت . متعبد لغايه في وكيف بدا مهترزا وهو يضحق . لابد أنه كان يعرف . مسكون حقا

— أنت محظوظ يا شجرة

قال لى التكرورى الذى أتى الى مكنتى ظهرا . أخفيت ابتسامتى

— كان رئيس مجلس الإدارة في وضع صعب منذ مظاهرات يدير اكتشفت مباحث أسر النوبة أن الشركة وكر للشيوعير ، وأن سيد برشو ليس له وجود أصلا بين العمال ، وبالنسبة لم يفهموا عليه حتى الآن ، وهذا الأسبوع قبضوا على ثلاثة عمال ثم صفة بتشطيدات سرية .

— لم يكتب منكورة بالموضوع . هل يعرف رئيس مجلس الإدارة الجديد شيئا ؟

ابتسم وقال :

— لا . أنا قادم من اجتماع معه . دعانى ورؤساء الاسماء في أول يوم عمل له .

قلت لنفسي : لقد نجوت . وقلت للتكرورى :

— أنا لن أشارك في أى مسوات بعد اليوم

وأضعت الى الثلاثمائة أربعين جنيها بعد صرف مرتب شهر مكانة على تدشور سفينة جديدة ظهرت في الصحف وجوارها رئيس مجلس إدارة لجديد متبسما . لف الاسكندرية الشتاء ظم أعد أغانى الشقة بالساء فكرت أنور أمى بعد صفاء الجو . أمى مدعونة في مقابر هامود السورى مع أنى في مقبرة علمة لأبناء بلدة الدحمون الذى يعيشون في الاسكندرية . لم أر بلدنا في حياتى وإن كنت أعرف انها تابعة لهافصة النمرية وتقع بين كفر الزيات وطنطا وسها عرج عمر لطفى مؤسس الحركة القناوية في مصر ! صفا الجو فسنيت ربما لكبرى للمقابر وبالمهوى قال حسين :

— يشاع أن رئيس مجلس الإدارة الجديد جاء لعقاب العمال على مظاهرات العالم للامضى .

قلت :

— لقد صرح بذلك في اجتماع عام ! . أول قراءته كان إعلاء الاعضاء

المؤقت من التجديد الذي يُسمح للفن بالشركة باعتبارها مشروعة
استراتيجيا . الآن أكثر من ثلاثة آلاف فنّي استدعوا إلى الجيش في شهر
واحد . فقد تدهور الانتاج تماما

كان ماجد مشغولا باللعب مع عبد السلام فقال بعد أن ضغط نظارته فوق
أنفه

— المسألة ليست المظاهرات . المشروع في الأصل سوفيتي .

— الحمد لله « بانّا » إيطالي

هتف حسين ضاحكا فاطلقنا نضجحت بصوت أهلك الجماهير .
وقال ماجد :

— لو كان بانّا سوفيتي كانوا ضربوك بالجرح . كانوا ضربوك أنت
بالدات . بهن . تحير نفسك — وأخذ يشر يديه إلى حسين ويصرخ
خريطة في العشاء وأنا وعبد السلام لا نكف عن الضحك — أنت تقف
وسط الجود . الجود حدة لمسكوا جزمهم بدلا من التناق . أنت تركز
عن ركبتيك مؤثوق الذراعين خلف ظهرك معصوب العين . صفا .
انتباه . اهدف ثورة يونيو المشهورة باسم حسين . غمر اضرب ..
كنا نسقط من فوق المقاعد . ماجد له وجه طفل برىء . يبدو جادا في
كثير من الأحيان ، وذا نكرت نجد أن كثيرا مما يبدو جادا فيه لا يستحق
هذه جدية ، لكنه أيضا إذا هزل اندفع بضحك بكل طاقته

قمت انمطي بطهرى الذي شعرت بتعب فيه من مرط اهترأزي وأنا
أضحك ، وضحك الجالس من ضحكنا ، وضحك محسن الجرسون
الذي لا يضحك أبدا فدفع بضحكنا أكثر يقولون أنه عند تزوج
أكتاب بعد ظهره على راحته بعد ثلاثة أشهر من الزواج علامات غريبة
في صورتها وجسدها انتهت بأن تحولت الزوجة إلى رجل !! .. قال عبد
السلام لحسين الذي أصر وجهه كثيرا :

— أنت الذي وصفت نفسك بثورة يوليو .

وجدت نفسي أقول حسين يهوى :
— بالمداية ، لماذا تخلو جرح الشركة من الدوق ؟
— أزمة هوالب باشجرة

ثم نجد ماجد بيتا ، أمك يقفه ويحكي بتعجز صراخك والجانسون
العراء يتابعون مشهدنا العرب . سألت بوقار وكنت متعلما . أجداب
حسين ببعض الطريقة وكان متعلما تحول السؤال والإجابة إلى هزل
كامل .

سعيد أنا حقا بسندادى لديموى ، ولفتاح حساب في بك ، والحماس
الفضيحة ، والإكالات من العقاب ، وكنت قررت جاد البحث عن
زوجة . ليس معقولا أني نسيبت في موت أمي ، ولا معقول أن الله يحاسبني
على إرادته . نجيوت من كثير من الشرور بسهولة . وهذا يعني أنه في
جاسي . وفكرت أن أشرع في التجول بين الإدارات الفرعية بعيدا عن
مجرى التي تحاصرني بالتراب والملفات أتشمع بالحة احسن الآخر إلا أني
ذكرت الآن فقط . وعلى المنهى في هذه اللحظة ، أني بقية أعرف كل
نقصات بالإدارة ، وأنهم جميعا إما متزوجات أو عظميات . أجل . خمس
سنوات مضت لا تطلب فيها الإدارة موظفين أو موظفات جدد ، وليس
من المنقول أن تبقى حاة بعد العمل خمس سنوات بلا حصة أو رواج ،
هذا بالك وأكثر من نصف قبل ثلاث بكثير . لكن عبد السلام قد بعد أن
عاد ماجد :

— يبدو أننا منصاب بالجنون ، هذا الضحك غير طبيعي .

رد ماجد وهو يقلوم الفصحك ويجمع الدموع من عينه بعد أن جمع
غضارته :

— ولماذا نذهب بعيدا . الدكتور موسى الدنف يعمل ممي في الصيدبية
يشتم الناس والند طول النهار ويقول ما بال هؤلاء المرص لا يشتمون وما بال

السيرة لا تقتصرهم ويستريح ، ويقول أيضا أنه لم يرتاح إلا إذا سافر إلى الكويت بالذات .

وعاد يصحك ويتناجى نحن الصبح فقال حسي
— أنت تعمل مع الدكتور هتلر ولا تدرى .

ولكنها لم تضحك هذه المرة . قال عبد السلام :

— بالتأسفة .. لقد قررت السفر إلى العراق .

فبدأ صمت مستبد غريب كأننا لم نكون نعرفه منذ قليل .

• ولد طفل بذيول فيء عادي يمكن أن يحدث بعد اسبوع
عرفت الاسكتلندية أن الحادثة تكررت فبدأت تلمس الناس ما كاد
اسبوع آخر يخطى حتى شاع أن امرأة ثالثة تلقت طفلا بذيول
أيضا ، وسرعان ما صار معروفا أن مستشفى الشاطئ اعتادت
بالاطفال المولودين وهم طفول . غمت كل حامل أن يسقط جنينا ،
وبعضهن من وهن يحملون ذلك ، وقيل أن العام علم لعة
فانقطعت الزيجات . وحار القوي من الرجال لا يعاشر زوجته ؛
والضعفاء يرسلها لأهلها أو يطلقها حتى يمر العام .

« ٧ »

• تخرجت من كلية الزراعة فلتقمي الجيش . هزمت في حرب
حاصرت في الثانية . لم أحرز ولا أصابي ضجر . لكنني وقد خرجت
بجئت كأني في راحة والدي هذه التي يحقها الله لنا جميعا في راحته .
بل تحب أن تحب الطاوله أو الجلوس بالمقهى ؟ . هل تحب أن

مكتبة العرب

<http://library4arab.com/>

مستمر مع ذلك ؟ لو حدث لاكتملت للأسف . الطبعي أن تفتقر .
يشق كل منا نفسه حياة ويذكر الآخرين لكنا لا نستطيع . ليس لأن
للحياة صعوبة ولا تزيده عن شوارع واحد وصحة ألفة ولكن لأنه لا يوجد
أى م موضوع يسمى وراءه . هل تعرف لماذا يصعب حسنى على
الدراسة في هذا العمر ؟ لا تقل للحصول على مؤهل جامعى . مقيمة
مؤهل جامعى في زمن به عبء التماكهاى ؟ . حسنى إن لم يعمل ذلك
سيجد وقت يفكر فيه في نفسه !! وأنت . لديك شقة ، ووحيد بلا
عشاء ، وبكتك أيضا لا تريد أن تشق نفسك حياة . لماذا لا تتزوج وقد
قطعت أصعب خطوة ؟ هل تحيا حياة تدهية . لا أعصد . وهى أيضا
ليست ليبعة . لكن بلا طعم . لابد أنك تعرف ذلك ولا تريد أن تواجه
نفسك . الوحيد الذى وجد موضوعا لحياته هو ماجد . أصبح يدير
صيدلية هو صاحبها . لكن بلا من أن تصبح موضوعا لحياته كما
ينبنى ، أى قاعدة يقف عليها ، أصبح لا يتركها الا في القبول النادر .
صدرت الصيدلية حياته نفسها يختبئ فيها من الدنيا . أنا مثلكم وأريد .
لا أجد شيئا يهزمنى أو أهزمه . عمل روتينى في نفثى وراعى برشيد
أكسل في معظم الأهم من الذهاب إليه ، فأنا حتى الظهيرة ، ولا
يهاسى رئيس . لو سألتنى عن الزراعة لوجدت أن نسبت كل شيء . لو
سألتنى عن عمل آخر لفلت لك أنى مهندس زراعى عمر جيمنا لنا
باجهين في شيء . ولا فاشلير أيضا . تقف وسط الفضاء الفارغ .
خرجت من اجيش الذى لا أحب الخوض في تجربتى فيه . لا أعرف
كيف نجوت . هذه هى الخلاصة . أحاول أن أضع ستارا من حديد بينى
وبينه . ولقد بحثت الا مع شخص واحد . حدى صغير النحى بالجيش
بعدى خمس سنوات . شدى وجهه الطويل الجليل . صوته المداىء
المرج . وكنت أحس به دائما أكبر منى

كان يملأ مخادفا محكايات من كل عصر وكل بلد . دائما تجد عنده رواية

نقرأها . كدنت لا أصدق أنه طيب . قبل الحرب بأيام امردى بعد
متصف الليل . قال أنه من الضروري أن نلتقى بعد الحرب . قلت
« موافق . بعد الحرب » . وكنت أجسم . قال انه لا يزال والحرب بعد
أيام كيف عرف ذلك ؟ أنا وآلاف مثل مالنا المشايخ العسكرية
والانتظار ولم نر حريا في الاتق . كان عتظفا عن كل من عرفت . لم يكن
على اتصال بأى جهة يمكن أن تهاغه بموعد الحرب . مجرد جدى عادى
كان . والحرب لم نعرفها الا وقت بلثها . لم يعرف بها الصباط أيضا .
ولابد أن الشعب نفسه لم يكن يعرف . لابد أنك قرأت شيئا عن ذلك في
الصحف . سألكه لماذا يريدنا أن نلتقى بعد الحرب . سألى ماد . مع فى
الأجازات . قلت لوى أسمى وأنى وأخونى واللعب الطاولة مع اصدلانى وأدم .
قال عما يتحدثون ؟ قلت في المقهى نلعب وفى البيت يتشاجرون . قال
بين الشجار واللعب ضاعت حياتنا . البلد نفسها ضاعت ولابد من
انقاذها . وقال ببساطة شديدة اذهلتى اننى : مع ، نستطيع أن نخلص
ذلك ، واننى الوحيد من بين القات الذين قابهم في الجيش الذى أصنع
لذلك المهمة . قال أنا سنهزم اسرائيل . ليس لأنا أقوى منها ولكن لأن
سنحارب بروح المتحمر . الخنادق والتدرب المتكرر لسنوات بهذا الطول
تجعل الإصحار حياة حقيقة . سنحارب لانا سننتحر . الانفجار أيضا
يمكن استناره . هذا ما سبحدث بالضبط . وقال مرة ثانية « بعد أيام » .
كنت أرتمش من جدته وكنت ابكى معه حين بكى . ليلتها لم أتم .
ليلتى بعدها لم أتم . في الأيام الأولى للحرب بدت المعارك كالأحلام .
كنت نائما وأنا أغير . نائما وأنا أجرى فوق وصال صبياء . وبنت مرة بوقت
طويل . كانت غارة شديدة فوق موقعنا الجديد على الضفة الشرقية . انتهت
الغارة وحلوا القتلى وأنا قائم نوما حقيقيا وعبروا بهم الى الضفة الغربية من
يومها لم أره . لم أعرف صفة لأن الجلود لا يكون . لكنى كثيرا ما تعذبت
بالسؤال . هل أنا قادر حقا أن أقود ثورة في هذا البلد ؟ ولماذا ؟ أنا
شخصيا لا أشعر أن هناك مشكلة عند أحد . كل من أعرفه يدير أموره

بطريقة ما ورغم ذلك كثيرا ما فكرت في هدف أثير آموري نجله ولم أصل لنتيجة عرحت من الجيش فاكشفت أني تجاوزت الثلاثين بثلاث سنوات . حتى الأرياء وسريحة الشعر وتسوية السوالم تعبت لا يستطيع من تجاوز الثلاثين فجأة مثل أن يعمل شيئا . لكنك أنت أنت يا شجرة وبمعد ما جد وحسن المخطون الحقيقيون لانه كانت لكل منكم الفرصة كاملة في إحصاء السن ، ولك أن تحبني مجنونا إذا شئت .

كان هذا آخر ما سمعت من عبد السلام في الليلة الأخيرة قبل سفره حين الفردوا في الطريق . كنت دائما بعد بيت الياسين منزله مظلما إلا من ضوء محروق حطب اسودت فمك تلقاها عن الكلام أسأل نفسي عما عسى يفكر فيه عبد السلام حين يمر فبيت . وأقول لعله يتساءل مثل عبي ! . بعد سفره قررت أن أذهب الى شقني من الشارع الموازي ، ولا أمر بيت الياسين مرة أخرى . كنت أحسب أن عبد السلام مثل آلاف الشبان الذين يسافرون لتدبير شال اللازم لاستحار شقة والزواج . ادركت أن ذلك ليس هدوه ، ولابد أن تواضع حال أسرته لا يصايقه ، فهو لم يذكره في حديثه من قريب أو بعيد . في لحظة فكرت أنه من نوع سيد برشو ، لكن الأسى الذي يندب كلماته جعلني أنكر أنه مختلف . نوع يسعني على عقل . وهو ليس مجنونا في كل الأحوال . إنه مثل عشرات الشبان الذين يلقون شاردن على محطات الاوتوبيسات لا يعاود بالنسب فوق رؤوسهم ، ولا يدركون أنهم لو تحركوا قليلا سيفقدون تحت المظلة . تنبئت الى هؤلاء فجأة وكثيرا ما امسكت نفسي مثلما بالنظر الى المحطات احصى الواقفين بعيدا عن المظلة . وقد يكون عبد السلام مختلفا ايضا . خفيته اني عاشر عن فهمه . احبته قبل أن أراه ولم أدر أنه تقني ماجد . من رساله أحضرها معه الى المقهى فقرأ أنه وجد عملا في منطقة تسمى : الخالص . ليست بجميلة . عن بغداد في محطة للصوبات الرحاحية . بعضها عتوانه وفي بكل لقاء تحدثنا عن ضرورة الرد عليه . كل ما يقر . أنه مبعث ولا يعمل . بدأ أنا لا نذكره الا حين ملغى . نوع

من الإحساس بالذنب . ربما . وأعلمها رغبة أن يري كل منا نفسه . كان إشتاء قد مضى وأنصف . في عيد العمال ذهب أعضاء القعدة وسدده كالعام الماضي . في السادس والعشرين من يونيو جاء الرئيس بدهيبوكنتر فاصبحت الاحصالات . يقولون أن هذه الليلة أكثر أهداها منه يكسون عام ١٩٧٤ . بالقطاعة ما أوجته . نيكسون يدي الرئيس طائرة لينقل بها فتمني الاحصالات ويقطع رزق السنوي . لكني سبق وقررت أن لا أخرج بالعمال ، ما وجه القوط ادن ؟ . ماجد صار كثير الشرود وفرت أكثر من مرة أن أسأله في ذلك زمانا أنسى . لكنه حل اللع أول يوم من شهر أكتوبر وقال كمجذوب :

— سمراء حضراء العيون سوداء الشعر بحلاسية من هناك أجهل من هذا ؟ . قالت أنها طالبة في كلية العلوم . ثلاثة لقاءات وأخذت عقل وقني . في الأول اشترت شامبو . في الثاني ضحككت وتحدثت قليلا . في الثالث جاعني نيكسي تطلب مني توصيلها الى بيت عمته التي معها عنيابها ولا تعرف كيف تصل إليه . جاءت من القاهرة للمصيف الصيفي عند خالها لكن رويحة خالها أساءت معاملتها . قالت لي أنها من تراث بيت عمته وتنفرد في القاهرة قبل أن تتصل لي ، وإذا سافرت سنراسس مضى شهران الآن ولم تتصل لي فو ترأسس . سأسألر إليها القاهرة

— وعذا ما جعلك شاردا ؟

تسأل حسن بن ظم يرد ماجد . سافر بعيدا عما هما بدا من وجوهه صار يسافر كل اسبوع ويأتي ليقول :

— لا أعرف ما إذا كانت بجامعة القاهرة تم عين لمع *

ويسافر ويعود .

— لم تقل بأي سنة دراسية . قالت المصوح وربما قالت دور العلوم ولا أدري

يسافر ويوجد .

— دخول الجامعة صعب . الحرس الجامعي والأمن . الجامعة قلعة .

انسى آقف على الباب أسأل الطلاب . هل أنت من كلية العلوم . الجامعة
الماهرة أكثر من باب . انسى خطف .

وظل يسافر . قلت لقاءتيا . طاردا الشتاء فاعتدلت .



دعني الذكورى حجرة ضاحكا وقال قبل أن يلقى التحية .

— أما آن الآوان أن تترك هذه الحجرة المعتمة ؟
تأملته في المسافة من الباب الى المقعد الذى أمام مكبى . قلت

— ذكورى . أنت نفيب العمال طبعاً ؟

بتسم . هذا مذهسا كطلس ثم أحر وجهه الشاحب .

— هل تسخر منى ؟

— اطلاقا . لكني عطر لى أن أسألك لماذا لا ترتدى « الأومول
مرة . أنت غنى كهراء فيما أعلم .

صححت .

— معذ حق ، لكنى سبت الكهراء . مشاكل العمال كثيرة مع
الإدارة وأنت تعرف .

انسمت . يقول دائما عن أشياء لا أعرفها أنى أعرفها . قلت .

— لماذا لم يسل أن أترك هذه الغرفة ؟

— هذا طبعى لأى انسان . أنت تعمل منذ عشر سنوات . منى

حقك الترقية وطلب موظفين جدد يعملون تحت رئاستك . هكنا
يسوبك . اكتب لى شكوى احققها لك .

صحكت . قلت له سيجارة فقال انه اقلع مؤخرا عن التدخين .

اتدخين صار بالصحة ا . وهو أيضا يريد أن يقتصد ليوم ما يساعده
على الزواج الذى تأخر فيه كثيرا . وقال :

— منكوب استعالات الرئيس جبارة هذه المرة . احرائد تقول أن نفا .
كاتب ديعيد سيسى الصراع العربى الاسرائيلى الى الأبد . سيدعوب التوقيع
على المعاهدة بعد غد على الهواء مباشر . استمد .

— هل سأخرج أنا بالعمال ؟ تعرف أنى أقلت عن ذلك .

— خرجك فيه رد لاعتبارك . حقا مضى وقت طويل على ما حدث ،
لكن رد الاعتبار مطلوب ، ولا نسى أنى قلت لك أن رئيس مجلس الإدارة
لا يعرف شيئا عنك . يجب أن تخرج ولو مرة واحدة حتى ينتهى أثر
الخيانة القديمة تماما بين العمال والموظفين .

ومضى وتركنى أذكر فيما يفعله معى بالضبط . كيف يعرف أنى نص
ولا يندى دهشة أو اعتراضاً ، وكيف يفكر فى رد اعتبارى رغم مرور عام
وبضع فقريرا وهو وقت كاف هو أى أثر لحكاياه لا نسى أحداً فى
احقية . وهو ايضا يريد ترفيتى لأبد أن الذكورى هذا . رموس للعناية
الإلمية . نصى ولا أهرق . وصلت أنه فعلا يقتصد بهزوح . امتلأت
بالإشفاق نحوه ، وازداد حنى له ، وأحسست أنى بحاجة فعلا لى رد
اعتبارى



قبل موعد السهر يوم طلبت الأسطى زهم بالتبديل فحضرت ان
مكبى . قلت بحماسة غامض هذه المرة بأريئة سائمين . وجهته يعرف .
سأنته عن السائق الرابع الذى يخرج معاً لأول مرة . قال أنه سيتولى أمره
أنهتته أن يحضر إلى وحده فى الخامسة صباحا ببدلا محطه مصر ، وأن
يرك الأتوبيس أمام بيته ، وأن يجير السائقين الثلاثة أن يحضروا بين
السابعة والسابعة بمكبى « الأفضع » ، وأن يتركوا الأتوبيسات أمام بيوتهم

أيضا لو في أى مكان يختارونه بحيث لا يراها أحد من الشركة ولا يكون هناك احتمال واحد لذلك . و لكن غصى اليوم في أى مكان ؟ سألنى . قلت « سبى المهمة قبل أن تبدأ » . انقسم وسألنى عن الوجيهات الجاهزة التى سنكون محمفة معه قلت صاحكا « معها وانقسم حقها مع السابقين أو كبرها » .

في الخامسة صباحا كنت أقف مرتديا بلوزتين ، وأكاد أدخل في بهي من برد مارس ، والظلام لا يريد أن ينزحزح . وصل الأسطى زنه من متكوو في حجم صحم بسبب الملابس التى كبرها فوق لحمة المتكوك أصلا فوق عظامه لبدأ و يندحرج . أعطته أربعة كشوى بأسماء العمال وطلبت أن يشطب اسم العامل الذى يتسلم أجره . لابد أن مشهدنا كان مموزا في الميدان التام لشكش بردا فاستغل علبا العمال بسهولة . صرت أصلم كل عامل ثلاثة جنيهات وشطب الأسطى زنه اسمه . في السادسة والنصف التقيا بالسابقين الثلاثة بمعنى الأقطع وانخرفة بدأت تتأثر في الميدان الذى يستقط كسولا من حولنا .

— استأذ شجرة ... نحن نحبك لكن الظروف صعبة هذه المرة . قال السائق الذى اعترض على المائة جنيه في المرة السابقة ثم أخذهم ، والذى صبر عن تعامله معى حين اتكشف أمرى فأتى بعرض ودهم ، وأكمل .

— نريد مائتى جنيه لكل منا

رأيت السائق الرابع الذى يخرج معا لأول مرة يشرب شاييا بالخليب في استغراق على متضدة نهيدة كأن شيئا لا يحبه . الحقيقة أيقظ صوته غوف . بد لي مجرماً بلينا عينا في الإحرام .

— نمرد هذا ؟

— سمعها لك المرة القادمة .

أجابه الأسطى زنه وهو ينتظر في الأرض . هو إذن الذى خطط

للمسألة هذا المعجور المتكور مخفيا في الثياب . كنت قررت أن أعطي كل سائق مائة جنيه فقط واحتفظ بستائة لي بعد أن استقطعت من كل عامل جنيهين

— وإذا رفضت ؟

— لن نخسر صداقتنا . سترك المبلغ كله

قالوا بعرييا معا سيتركوك لي اجزئهم كاملة أدن ويبدو أن وجهي من بشائر الموافقة رأيت الأسطى زنه يتسم ، وصمعت السائق المحدد بقول — الرئس حى . والشعب حى ، وشاكس مع الدول بالكريم ، ولن تنتهى الزهيرات ولا الإنعاشات

تكلم الوغد حاسما وعند يشرب الشاي بالخبيب . ليكر . اجسنت بدت :

— يبدو أنها آخر مرة .

كدت أجزر به أن عدت الى الشقة . تذكرت الخمسمائة وجبة احاضرة . لابد أن يجه وجد طريقة ليعمها ، أو م يتسلمها أصلا من اخر نظير اتفاق ما . في النهاية صبحت .

مضى شهر على اليوم الذى وزت فيه فبر أمى وأبى . كنت تركب العمل في الحادية عشرة صباحا وذهبت الى بنك مصر لأصع المائتى حبه الأخيرة في حاد . مشيت قبلا في شارع صلاح سالم ، وفي المسنة وحلت نفسى أركب الترام رقم خمسة . ما لفتنى دعوى لعدت ؟ قلت أمى وأبى ولا أحد غيرهما فكزت من قبل في زيارتهما ولم أحصل . لابد أن يغشى قوية . الساعة الوحيدة ظهرا والصيف لم يجرى بعد . لا أن الترام مردهم . اخترت لتعنى موقعا جوار الكمسارى الجبال جوار الباب

لخفى . أتمدت ظهري على جانب القمام . لئلا ما يعلو بهنى
 وإحساسى عن الزحام لا أريد أن أشكو لوالدى شيئا . لا أريد الاحتفال
 عن شيء . أريد أن أراها ولو فى حلم . ليس لى صورة فوتوغرافية لأى
 منها . وأكاد أسى ملائمتها . لكن شعاعا سقط فوق وجهى وتركز عليه
 من بين الزحام . وجه ساحط الانسامة يطل على . أوتكت . غر مهيأ أنا
 لأى معامرة الآن . ركبت نظرى على قدمى . إحساسى بالشعاع الرقيق
 مصوبا الى وجهى قائم . نظرت غير قادر على الغروب . وجه المرأة يزداد
 ألغا ودهشة معا ، ويتنمى وراء رجل طويل . انتهى الموقف . لكنى أعود
 لألمس فرجة تسببها أى حركة للرجل الطويل لأرى وجه المرأة من جديد .
 م أدرك أن حركة عيني تسبب حرجا للرجل إلا حين اصطدمت بعينه
 فرائته مرتبكا ومرتابا . أخفضت بصرى وسكنت .

من باب المقابر تسلمنى الأطفال الخفاة فنزرو الخياض يطلبون
 الرحمة ، والشيوخ انحرف الذين يقفون كأتى مصادة ويهرولون فى
 قهوة القرآن الذى لا يمحوه . كدت أعود فى حاجة أنا الى وقت
 أبكى به . أحس بذلك ولا أعرف السبب فى حاجة الى دموع تمل
 بصرى . تشرح صدرى وتلقى المنهمم بما أدرك . هل جئت كما غنى أى
 من الله فعلا ؟ . على القبر وقعت وحيدا بعد أن أشحت بدراعى فى رضى
 من اقتراب منى من الشيوخ والأطفال . وجدت عسى أذكر امرأة التى
 ابتسمت فى فى الترم . إنها كثر . كثر تحت هاتى وأخى فى الرمز
 الحبيب .

عصى شهر الآن على ذلك اليوم ولا أصدق أن الطريق الذى يسلكه
 سائق التاكسى سيصل بنا . يمضى بين أزقة ارتفعت فيها عمارات
 فأظلمتها . شوارع امتلأت بالنور والمقامى فاصبحرت . وأمام منطقة
 امتلأت بالخيام القديمة القائمة قال « وصلنا » .

كان على حق . ها هى المستشفى عارية أشجارها ومقطوعة اتسعت

بينها المسافات . موافدا يطل من كل منها أكثر من شخص . وساكى
 القوية المتساندة فى تجاورها تبدو فرجة من جهانه ما يحيطها : قصبة
 حيث ارتفعت الأرض حولها . حال لونها وكساه الغبر .

— كما ترى لا استطع أن أقدم أكثر

— ما هذا ؟

— حصرتك كنت بالخارج ؟ هذه مساكن الإباء

غادرت التاكسى فقابلنى هاموش حاصر ودياب وروائع هب ركدة
 نقيفة تزكم الفضاء هل أعود ؟ لماذا أيت لأن ؟ تقدمت .

أطفال عرا وساء كالحبات يقفون أمام الخيام واكتشك الصفيح
 رجال مشغولون بأحشاش والواح معدنية صدئة ومتجهمون . برار . برار
 برار فى كل خطوة فوق الأرض . أصوات زاديوت وتليفونات وشبكة
 من الأسلاك تصكب العصا . بين أسير الخيام ودياب العمار متر واحد
 مواز للمساكن امتلأ بالوحل والبط والدجاج اللامى والقطط الصغيرة
 الهبة . أين ذهب الله الآن وكيف يتحرك ؟ أهذا جنة يوما فكيف نحل
 هنا فى هذا الوقت القصير ؟ أى أحق أنا ؟ طال الزمن وقدمت مشرلا ولا
 أدرك . أنظر فى المرأة كل صباح أمشط شعرى فلماذا م أدرك ذلك ؟ .
 أكان لابد يا كثر أن تنظرى ؟ . لابد أنى من أحد أحد . ولابد أنك
 مريجت . مثلك لا تنتظر كثيرا . جمالك الباهر وعطرك الطائر يترك
 القلوب البعيدة . لقد رأيت وجهك أكثر استدارة وشحما . وجه امرأة
 ناضجة مربية . لم أسدك ولو أبعد هاتى الذى لابد يعبر مع زوجته فى
 القاهرة . أم بفانى فى محطة الرمل يوما وقال أنه سيصل بمحضته التى فى
 القاهرة ؟ وما هو السند عظيم أمامه كدد رجل متفتح بالنور واصحا
 عكازا على الأرض حول ساقه للقطوعة ولا يشعر بدحولى حوله دحرج
 يبط صغير وأنا أخطو على أطراف أصابعى الموافد التى تطل على امور
 لأوسع مقلقة كسا رجاجها تراب وعكيب ولا يصير من نور ها أدا

— من حصرتك ؟
تكنم بطلاقة وثقة وأنا انكم ولا أتكلم . دخلت جارية ومعهما :
— راحل طويل قوى ياماما ما يتكلمش خالص .
لا نسمع وقع أقدام . رأيت كوتر أنمى حافية شعره الأصفر محمول
بشروك بحرية خفيف ظهرها . لكنى لا أنسم عطرها الصائر .
شجرة ! شعة . أستاذ شجرة . تفصل .

أصعد في الظلام ولا يقابلني شاب كان طفلاً فأعره ، رجلاً كان شاباً
فيرمى ، عجبوا يسألني عن أمي وأبي . أعرف أن قانوناً صدر بعد رحيلنا
بأيام بمعنى الشفق لسكانها ملكاً مؤبداً ، وما كان هذا القانون هو الذي
عطل موت أبي إذ جسد أماته سوء الحظ كاسراً . وما لم يكنه أبي الحبل
ولا زاد أن يلدتني . رغم هذا القانون لا يبدو أن أحداً يصعد للعيش في
مكن على عه الله . لكنى أصعد . لن أخطئ ، شفتكم يا كوتر . كانت
أوسع من شفتي . كان أبوك موظفاً بالإسرائيلية فكانت شفتكم ثلاث
غرف . هذا أذا أدو الباب . هل تقابلني أحلام ؟ لستك الصعوبة التي
تذكرها يوم تسمت لي في الترام ، والتي كانت ماحجة في « القبول » يوم
رحلت . والتي لأبد أنها عروس ناضجة الآن ، ومن أجلها جئت أنا .
كانت أحلام تشر نفس عطرك وكنت أنا أكبر منك حيناً ورسى أنت في
النضج وتضل أحلام بالنسبة في طفلة . لعلها إذا رأني تذكرت كيف
كنت أطيع عاصرها حين يضايقها هاني الصالح الأبدى ، ثم يأمرها
بأن تجهر بما شها باستنوع فتخرج غاضبة ، وقد خبير أنت بالشئ ماسة
متوردة خفية ، ونضج أماما قلب والقول السوداء ، وتقولين أن فيلم
الهيئة بالتيفزيون الذي اشتراه أبوك حديثاً حسن ، وأنت استرحت من
عذاب المذاكرة بعد أن توقفت في الإعدادية عن التعليم ، أو أن الإرسال
طوب النهار مشعوب بحمال عبد الناصر وهو عشان يستقبل الملوك والرؤساء
العرب مثل عارفة به . تذكرين أبي قنت مرة ، مؤخر قمة ، ههروت
كسنت وقت ١ قمة به ، وضحكنا أنا وهاني وكان كعادته « عائلة حوية
كنها » . ها هو الباب يفتح ولا أرى أنامى أحلام . من هذه الطفلة
الصفوة سمراء الوجه التي تقف أمام قلبي ؟

— من يانور ؟

صوت ياني من الداخل لعله صوت كوتر هو عيه . لا أخطئ
البحر فيه يلو من من السنين ألف . اسمها نور هذه الطفلة السمراء التي
ترفع وجهها إلي . يا للمسافة التي بين عيني وعينيها .

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

<http://library4arab.com/>

١ يوم الأربعاء من كل أسبوع يشهد كوبرى الجارح زحاما هريا .
رجال وشباب وحصة حانة مهترى الشباب يوافدون لراعى منذ
الصباح الباكر ويحاصون بلا ضجة باعداد الكوبرى يولون وجوههم
ناحية البناء ويحمد صوتهم شاحصة في الفراغ إلى الأمام . تلفف الحرام
في محيطها خلفهم ولا أحد يترك مكانه إلا في المساء . اكتشف
الناس حائرا جدا أن بالبناء لونا يجمع الشرطة يسمى « لون
الإعدام » ثم فيه حرق المندوبات المضبوطة من الخدود والسواحل
ول الأوكار . يوم الأربعاء هو اليوم المحدد للحرق . والسيم القادم
من البحر يرب على الكوبرى مارا بالفرن ويصل للواقفين طبا يخرجوا
بدمعان الخشيش المروق حاملا الراحة واهناء بالجان الآن تملكا
فوق الكوبرى الهرام وسائر المركبات ٢

<http://library4arab.com/>

« ٨ »

جلست في مكتبي أفكر أن النساء أطول عمرا من الرجال لأن الله أراد
أن يطول تلميحين في هذه الدنيا . لماذا يكون الله عاسيا مع أنجل محبقاته
وأصمعي ؟ فكرت أن عقل يتشقق وتخت

رأيتي أم كوثر هكت . زوجها عبد المال أفندي مات كملنا على هاني الذي تركته الحرب حمها مرقا واما على جمال سيده . كان عبد المال احدى رجلا ميرا في الحى . وصيما ثورث وصامنه لفساته ، مهتدا نظيف ملابس يحرص دائما على ابداء اليدنة والكراخة في الشتاء والصيف ، هادئا فيس الكلام . كثيرا ما دخل علينا الخيرة في الليل وأنا أذاكر مع هاني وفتح حرفة كتب صغيره نصح وأخرج كتابا صغيرا وخرج ، وكان هاني يتحدثني عن معرفة أبيه لرغبة بالشعر والشعر . نور الصغيرة بنت كوثر سمراء لآل أباه الذي تركه وطفلهين آخرين وسافر إلى دوى ، أتممر . أمي تقع دوى هذه على خريطة العام وكيف أدركها الآن ؟ أحلام تزوجت منذ شهر واحد رواج صامنا وسافرت مع زوجها إلى دوى أيضا . ربما تزوجت أحلام في اليوم الذي رأيت فيه كوثر في الترام .

لماذا لم أتوقع هذا كله ؟ . لماذا سميت أن حرمها كبرى قامت في أكتوبر عام ١٩٧٣ ولابد أنها تركت خلفها شهادته * . هل لأن عبد السلام الذي حوضر مع الجيش الثالث عاد ؟ .

وهي كان عبد السلام جيشنا كله ؟ .

وماذم أدرك أن أحلام وهي تكبر تصبح وتصبح عا دياها السحرية والمريه أيضا ؟ . انسى ، وم أشعر بأى غرابه ، ما كدت أدخل النشقة حتى اجتاحتني برودة ، وأحسست أني لا أعرف أحدا . شيء سقط منك ووجدته بعد فوات آوان حدثت فيه هل يسمى شيئا * ولابد أن كوثر أحبت بدنت أيضا . حبست وحسنت وقامت لتمرد وبها أمها فتستد على ذراعها ، ونصمت بيننا أو فوقنا ، كأن السقف سقط عينا . لم تقل الأم غير ؟ ريث يامى ؟ وشرعت في اليكاه القصصات فأهضتها كوثر وخرجت بها وعادنا لنجس متسمة تقول أنها لا تكف عن اليكاه . ليست رؤيتي دون سبب يكاتها كما مصورت ، ولا أنها حى رأيتي تذكرت صغيرة بها وصبا . م شأ أن ألتحمت مع كوثر عن شيء ، ولم تسألني

هى عن أهل ، ولا أظن أنها تسألت عن سبب زيارتي العريه طال الصمت بيتنا فبكأت بالأسطة التي وقعت فوق رأسى بعدها الاجابات . هل كانت كوثر تتصور أني أعرف كل ما لحق بهم ؟ . لم أسألهما عن راشد . إذا كان الضاحك الأبدى مات ، فلا بد أن عاشق أعانى عبد الحليم يمضى بقية عمره الآن يوجع في « الوفاء والامل » . مهولة باردة أم مأساة مقيمة هذه الحياة . لم يحورى أد كوثر انجسنت لي في الترام . الأمر لا ينفذ عن أنها تذكرت أن هذا الطويل الواقف شارد الذهن جوار الكسارى كان جارا لما ذات يوم ، وربما تذكرت أنه قبلها مرة ، فتذكرت زوجها وانتعشت ، وفي أحسن الاحوال كانت في حاجة فقط إلى أن أبادها الإلتصام



أصابتنى صورة جس مؤنونة فأعذت أدور على المكاتب ألتصص على سيمان النساء . أجلس مع من أعرفهم أخلق الأحاديث التافهة عن المسلات ، وأطلل على صبورهم من خلف الباب اتشمهم عطرهم الرخيص العافع ، وأنصويهم في لوضاع الجماع مع أزواجهن الذين أهرلهم من موظفى الشركة ، أو لا أعرفهم من خارجها . وفي البيت أقمت لنفسى « سراية » من الحلووات الخسنة المتخيلة ، وتقدمت لي إتقانها حتى صرت أترقب قوقى دون أن تلمس يدي حياوى ..

جاءنى المذكورى فزاعه أن دعى طالت وشعرى تلبس من قلعة المسيل .
— يجب أن تتزوج يا شجرة

انجسنت ساخرا

— لديك شمة فمنا فتتظر . أنتك أفضل مى حالا ؟
لم أود .

— هلوس ؟ قادمة في الطريق . جهر نفسك . وهل يجين إلى الاسكندرية كما تعرف وسيقتل بعد غد من مقر رأس التين إلى المعمورة

حيث استرحه الرئيس . الشركة مشلول في فتحة على طريق جمال عبد
النصر

طر . كذب أصرخ في المذكرى . انهم فاحله الفى . من المائدة
في الطريق اسحق حلسا . يعرف على كل شيء ولا يحتاج . لا يطلب
شيء نفسه . أى نوع من البشر هو ؟ . ليس قدس ولا ملاكا ولا
شيطان . لا يستحق الشكر ولا القلعة . ومن أنا بالضبط ؟ . لا أعرف
أصلا أن يجيب وصل الإسكندرية . لم أجد أشتري صحفا ، وأعلق
التليفون كنت وجدت شرة أو برنامجا اخباريا . أنشأت بحث عن النساء ،
عصر النساء ، عرق النساء ، سيقان النساء ، شعاع النساء ، وصلوهن ،
وأفكر في شراء تليفون ملون حتى أرى لحمهن ساجدا . ويجيب هذا هو
الذى طرد الله من أرضه حول مساكن البلدية بكم المشقة وهو الذى
ملأ الأرض بجهنم الإيوان . أنا نيت حمارا كما تتعاملون . اننى أنهم وأنهم
وأنهم وأعمى أم بسيط جدا أن أجد امرأة أتزوجها فتزاد عزلى وأعشى
ها ولأنها . ويرداد غايب . هذا الأمل الذى لا أحصل عليه دائما أنساء
أنا شجرة محمد على النور الأمير صاحب الوجه الخاطف دى العرب
المسيحين ، القوى لسان كحافظ ، تتجلف الرجل في عروق تكاد تنشق
عنها أجند ولحم دمي نار وتنسكب منى بالأشارة . اننى شقة ، وأكثر
من محسنة جبه لي انبك ، ولا أم ولا أب ولا أخوة ولا أعرف لي
أقارب ، أنا شجرة محمد على ، لا أجد امرأة . ألا توجد فتاة واحدة
شجاعة تتقدم لي فتنبى صبرى وتجد نسيانى ؟ . ألا توجد زميلة تقدم لي
أعشاب أو مسبقها راحة . يا بال النساء يتخفين عن دورهن التلويح في
صطياد الرجال ؟ . ويريدون أن أستعمل يجيب . القوة . سأستشيع يجيب
وأم يجيب .. سأجعل العمال يحرقون . لن أسرقهم هذه المرة . سأجلس في
مقهى المحطة ، في الظل ، وسأتركهم في الشارع الواسع ، في الشمس ،
باصط في ميدان المحطة ، حيث تتعد العمارات وتصبح المنطقة بؤرة
للصوء سقطت عندها الأشعة في الظهير حزمة واحدة عريضة لعينة

كالهجوم ، ولن أتخل عن المهمة القدر

— أخذت اللبسانس .

دق الجرس وفتح الباب فوجدته يقول ذلك فاعلم لي ذراعيه . هذه
أول مرة يزورني أحد من أصدقائي في البيت بعد وفاة أمي . لم أعرف هي
أحسنت لذلك أم لنجاحه . تأملته والسعادة تفتح عيني ، وهو ، حسب
كعادته يرداد وجهه احمررا .

— فرحان بك ونفسى . بنجاحك ونهارث .

قلت وهو يقف وسط الصالة الخالية فأدخلته الى الشرفة حيث كنت
وضعت مقعدا قديما ، وتركته وعدت بالمقعد لثاني

— حقا لقد قصرنا في حقك .

قال بيرة أسف حقيقى . قلت :

— لا تشغل بالك . ميروك اللبسانس

كان تأمل ذقنى الكثيفة والصب الذى لابد رسمه بخطوطها حول
عيني ، والانتعاج الذى لابد يبرز تحت جبهته الصغير من أن السهر
وكثرة التدخين .

— سأحلق ذقنى الآن اكربا لك

وفعلتها وعدت من الحمام فوجدته ينقسم محمر الوجه لابد كان
يتعجب من سلوكي . قال :

— عيني وبينك لا قيمة له

— من هو ؟

— اللبسانس .

ضحكنا .

— صبرى ستة وثلاثين سنة . حرتنى أكبر من مرتب أى خريج جامعة

حيث . ونسب . لكنهم أئى انتهت من الطروب ولولدت من
تاريخ

ر صفها صحتك ما متشبا من التمتع فيحر أمانه ورفض أن يشرب
أى شيء عذب أن خرج إلى القهى
— جعلت أكثر من مره فلم أجد أحد يلتقى ؟
— ماد م تر على ماجد في الصبدية أو قاتى هنا ؟
سكت ربه متحيزا لى إجابة . فقال وهو يتسم ويحمر وجهه .
— لا أعرف .

انقسمت وشجيت بسماته . نهضنا بصرف قلت .
— لم نعد مضبوطين على الساعة المسيرة .

لكننا ما كدنا نجلس بالقهى حتى رأينا ماجد قادما من بعيد فقال
حسبون متهللا كقولهم :

— ها نحن نعود إلى مواعيدنا المضبوطة بلا اتفاق .

بدأ حسنين متألقا بحق . ليس حسنين كما قلل عنه عبد السلام .
حسнин قانع راض بحب حادة الرضى ويهد عن نفسه وجع الدماغ !
أكثر من الناس يهبون السير في الطرق الممهدة حتى لو كانت لا تنتهى .
لهم أن تكون ممهدة وليس مهما بلوع بهايتها . وربما الأمر كما قال عبد
السلام . لوعد من ثلاثين غير شملة الطموح ، يستسلم الإنسان إلى
الوضع الذى انتهى إليه ، ولا يستطيع الخروج عن ذلك إلا بالجدون .

— حصل . حسنين عنى السباسب

عبد ماجد . أن حصر كلا ما نخرج . عتف غيل أن يجلس .

— د . متبداً الآن التاريخ الحقيقى . مبروك .

ثم مدفع بهجته ويقول .

— لا يسألنى أى مكان من القاهرة وكلية العلوم .

نظرت إلى حسنين فوجدته ينظر إلى . ذكرنا ماجد بنى . كنا
سيناه ، لكننا هضنا فى صوت واحد :

— وحدها ؟

— طبعاً .

— بلولد .. لأبد أنها لم تصدق ما ضمت

كنا نتكلم أنا وحسنى كشخص واحد وماجد يرد علينا .

— وحتى الآن لا تصدق . طاوله يا حسن .

هتف بنادى الجرسون .

— انتظر . احكى لنا أولاً كيف وجدتها ، وإلى أين وصلت معها .

علج ماجد نظارته ومسح زجاجها وقال وهو لا يرفع صوته إلينا .

— كان ذلك جنونا . لم أجد لها ولم أصل إلى أى شيء عنها . أدرس
الآن اللغة الألمانية فى معهد جوتة . سأسافر إلى النمسا .



أخبرنا ماجد أنه اشترى سيارة فبات نصف عمر وسأخذنا فى جولة
ليلية بالإسكندرية ، خاصة وأن الدكتور موسى الصبدل الذى يعمل عنده
هدأت نفسه بعد أن ضمن عملاً فى الكويت وسيسافر إليه بعد شهر
وسار يعمل بمجدة وعامل الزبائن نرج . وجدت نفسى أحكى لما ما
حدثت بالعمارة مؤخرًا . فمتذ أسبوعين صحت ضجة على السلم . دق
قللى . قلت ربما جاء السكان . من صيف العام السادس والسبعين إلى
صيف العام التاسع والسبعين هذا لم أو ساكنًا واحدًا ، ولا أعرف ماذا
يفعلون بالخارج كل هذا الوقت . ثلاث سنوات أعلق باب العمارة فى
النساء بالقلل والجنزير . وكما توقعت ، صحت مرأت عملاً يحملون أثاثًا
جديدًا . وقت قليلًا أسمع الخطوات الصاعدة والصحكات المنطلقة
حتى رأيهم ألقى . شاب وثقة وامرأة تبدو أمها خلفها الحقيقة
نجلت . كنت جريفاً أكثر مما ينبغي ، وتضايقت من دقنى ، لكن هذا

ما حدث . لم أدخل الشقة بنيت ولقنا عند الباب

— أنت نسكى هنا ؟

تساءل الشاب الذى وأجه كثير شعر الرأس جدا .

— أجل

— أنت الأستاذ شجرة إفذ ؟

قال الفتاة باسمة وهى ترمع عيناها إلى . أدركت أن عبده الفاكهاتى هو الذى أعبرهم باسمى ، ولابد أعطاهم مفتاحا لباب العمارة ، وفطنت الى أنه هو الذى أعطى رجال المباحث مفتاحا ليلة القبض على . ربما لذلك بدا عاتقا منى بعد إطلاق سراحى ، وربما أيضا لأنه تصورنى شيئا خطيرا ، لكن هلمّا حدث قديم ولا يجب أن يعود إلى ذاكرى ، ثم أنهم لم يكونوا ليعجزوا دون مفتاح الفاكهاتى . قلت :

— أجل .

— لا أحد معك يا ابنى ؟

تساءلت لأد فأجبت :

— أجل .

— إذن ستؤانسا .

قالوا معا وضحكوا فالتصمت لكن رفعت قدم إلى وجهى وأحسست من الفور أنهم قطع من اصبح لا أعرف ماذا حدث لمواطنى بالضبط .. امضيت اليوم أكاد أرقص و الشقة . مهما كان أمرهم فهم بشر سيجعلون غدا للعمارة الضخمة معنى . ثم اننى رأيت الفتاة يشحب وجهها بعد أن ضحكوا . كان اليوم جمعة وكنت أمضى تقضى للخروج لصيد . لقد اشتريت عدة لصيد السمك لم أستخدعها حتى الآن حتى ولا ذلك البحر ، ما يظن . سأستخدمها يوما . جلست فيلى وارزيت المايه لكى لم أنزل . صوت أخرج الى الشقة كثيرا ولأدخل فسمع حركة ترتيب الأثاث فوق فأعود أخرج الى الشقة وأرفع عيني لى أصل

فأجدهم . أو أحنا منهم يظل من النافذة أو الشقة التى فوق . أعجل وأكاد أحصى إلا أن كل من اصطدمت عسى بوجهه يمينى يده . فكرت أن دخلت فى طور الحود ، وفكرت أنهم مثلى . كان عليهم على الأقل أن يستكروا عربى خاصة وأن شرقهم تنحصر نصف متر عن شرتى . يجعلهم يرون جسمى كاملا . فكرت أنهم ربما كانوا سعداء حقا ، ووجدت نفسى أتساءل عن سر سعادتى . لا يمكن أن يكون متلاء شقة واحدة يسكنان سينا لشونى المفاجأة . فى الأمر حماسة من نوع ما . أحسست بصيق . فى المساء ذهبت الى ماجد فلم أجده فى الصيدية اشتريت دهانا من الدكتور موسى لتخفيف آلام الروماتيزم الذى بدأت أشعر به . أنام عاريا والشقة خالية . الأثاث يتنفس ويساعد على الدفء . سمعت أبى يقول ذلك مرة لكن المرأة تساعد أكثر .ها تنفث دلف كقطرة . أعرف ذلك ولم أجربه . فكرت أبى سأعيش وحيدا حتى الموت ، وفكرت أذهب الى عبده الفاكهاتى . يوحى . أحل يبعس امرأة وشرتى !

ضحكوا كثيرا من حكايتى التى اغفل . بها الكثير من الأحاسيس التى كتبها الآن إلا أن العبارة الأخيرة أفلتت . سى . قال ماجد أن عبده الفاكهاتى لا يهتم بهذه الأشياء الصغيرة إنه يضارب لى أرضى العجمى . واشترى مؤخرا خمسة نفدة فى شاحنة . أبو يوسف وخمسة فى شاطيء . أبو غلات . عرف ماجد ذلك من زائن الصيدية من البدر الذى صاروا يركبون اليعسوب ونحوب وهمشون فى الميلا بعد أد قسموا أرضهم المزروعة بالثمن لوالتى ورثها بوضع اليد عن أجددهم وباعوها للشركات السياحية ولتعتدى من الخارج ولتتجار . والذين يبيعون منه كيف لا يبيع فى صيدية التقويات الحسية ولا يعرف كيف يحضرها .

— سيأتى يوم لا تذوق فيه طعم الثين . كرامة .

قال حسنين يلهو ففجر ضحكنا ثم سألنى .

— هل تذكر حقا في الوجود؟

— طبعاً

— انذ اكمل لنا الحكاية وستزوجك .

عندما بصحبت من جديد لم أفتأني . أحسست براءة الموقف كله . قلت أنى أول أمس لم يأتنى النوم . انتهى الإرسال التليفزيونى وأنا أمكر في الرقصة العربية التى عرضها برنامج « اخترنا لك » حيث انتهت وأبأدى الراقصين من الرجال توسط بالوسط مؤخرات الرقصات في لحظة قريبة كادت تفر من الشاشة الى وجهى . كل كف مفتوحة فوق مركز المؤخرة . أى جرأة أصابت التليفزيون هذه الأيام ؟ إلا أن ذلك لم يكن كل شيء . قبل الفجر بقليل سمعت صوت ارتطام شديد في مياه البحر . ارتطام متكرر . فكرت أن سمينة جنحت الى البحر . أدركت استحالة ذلك لأنها لا بد تشحط في الرمال قبل الشاطئ ، بكثير . فحقت النافذة فقابلنى هواء كصفعة يعرض الدنيا . هواء ثقيل لكنه منصف . رأيت الموج يتقلب يحمل أشياء محترقة . أشعلت نور الشرفة ووقفت فيها . رأيت مقاعد طائرة عابطة من أعلى والواج غشيب ومراتب وشباب وحبال كبيرة وكل قطعة تتوهج لحظة في الضوء المنبعث من الشرفة ثم تختفي في الظلمة أسفل وأسمع صوت ارتطامها بالمروج . هذا هو الأثاث الذى رأيت العمال يصعدون به منذ أسبوعين . كان من الطبيعي ألا أتردد . أن أصعد . لم أشعر بالحرف ولم تطل دهشتى . لا يفعل ذلك إلا غريب . توقعت معركة فاعمدت سكيناً . صعدت فوجدت باب الشقة مفتوحاً فدخلت على أطراف أصابعى ووجدت الشاب نائم الذى قابلته مع الفتاة وأماها بواجهنى عالياً إلا من مابه وشعره الكثيف منكوش يقف كشعر القنفذ .

— أى خدمة ؟

سألني جاحظ العينين يظلم منهما الشرر

— سم .

أجبت واستحييت .

— ما رأيكما أن نسهر الليلة في القلوى . الحاج لقمان يقم مرادفاً

انتخاباً كبيراً يستحق الفرجة .

كانت الساعة قد دخلت في العاشرة ، ولم يكن بهي من حكايتي إلا صدى بلغت يحصل صديقى يقطعان اللعب أحياناً ليتسما دون تعليق . استفدنا التعليقات التى دارت كلها حول فكرة واحدة تقريباً ، تصرفات الناس العربية هذه الأيام . لكننا ضحكنا كثيراً حين قال حسين لي « طالما قرر أن يتخلص من الأثاث كان أعطاه لك أو سألك هل تعرف أحدًا يحتاج الى أثاث ؟ »

ولم يحذ ماجد الذى وعدنا بسهرة في المدينة أن نسهر في القلوى . أشار الى حركة السيارات الملاكى القادمة من المعجمى وقاله نسهر في بحرى مثل أصحاب السيارات . وكنت أنا كعادى غير مهم بالانتخابات . أعرف أن السادات حل مجلس الشعب ، وأن هناك انتخابات جديدة ، وأن هناك معارضة قوية لاتفاق كامب ديفيد وأن الصحف تشن على المعارضين حملة شرسة ، إلا أنى لم أصبغ نفسى متبسماً بقراءة التصاويل ، كذلك لم أخص مع أحد في الحديث مما يجرى في البلد . أرى لاتئات كثيرة فوق المجلات وعلى أشجار في طريقي الى العمل لم اليث تهيد كتبها احاج لقمان ولا أهم . لا أذكر أنى أدليت بصوتى في أى انتخاب أو مستفتاء ، وأنا في الأصل لا أحل بطاقة انتخابية ، وإن كانت البطاقة الانتخابية لأنى م نزل يوم بعض ما احتفظت به من أوراق بعد موته . ثم أتيت أكلت طعاماً من جرائسى . فالسادات لا يزال يأتى الاسكندرية في السادس والعشرين من يوليو بانجليوكترا ، وروبو من رؤساء الدول لا يأتون إلا في الشتاء حيث يتقل الى أسوان معظم الوقت حتى فكرت أنهم لا يأتون لزيارته بقدر ما يأتون لتستمتع بشمس أسوان ولتغتنم الفرصة للعلاج من أمراض الروماتيزم ، بل وربما كانت هذه هي كل لسانه كما أن الشركة لا تزال تساهم في

احتفالات عيد العمال بوفد محدود من أعضاء النقابة ، يوم زيارة ييجين
للاسكندرية نفذت المهمة كاملة ولم أستقطع ملياً من العمال .

— من هو الحاج لقمان ؟

وحدثت بنفسى أسأل دون قصد . قال ماجد :

— لا أحد في الاسكندرية لا يعرفه . أنا شخصياً تشرفت بمعرفته .
وقعت سيارة مرسيدس سوداء أمام الصيدلية ونزل منها السائق ليشتري
خمسة عجب جبيرين . رأيت الحاج لقمان بالمقعد الخلفي وحياتي بينه .
عرفته من صوره التي تملأ الطرقات بمادته النجسة ، ورأيتته ينزل من
السيارة . تصورت أنه سيدخل الصيدلية يحدثني عن الانتخابات لكنه
دحرج الرقائق الجانبية وعداد يزرر بتطلوبه من الأمام قبل أن يركب السيارة مرة
أخرى .

ضحكنا . كانت دهشة حسنين كبيرة من شراء خمسة عجب
جبيرين . تخيلت الرجل مرصداً إلا أني عرفت أن اخيخري منشط عام له
تأثير فعال على المجلس . وقلل حسنين مخاضاً ماجد :

— أنت رأيته مرة واحدة . أنا رأيته عشرات المرات من قبل . كان
يبيع مسروقات مخلفة من الجمر كمثل البلبوغرات والجيز والتراتزستور
بمقاييس ١ النش ١ بالمرورزة ثم اخفى منذ ثلاث سنوات تقريباً نيمود حاملاً
لقب حاج ومعرفاً كأكبر مستورد لحديد التسليح في مصر كلها . إنه
شخص يستحق العرجة خاصة أنه يخطب في الناس وأنا أعرف أنه لا يعرف
القراءة ولا الكتابة . هيا نذهب ولن نخسر شيئاً . اذا لم يعجبنا الحال
ننطلق الى بحري

ركبا سيارة ماجد طول الطريق نفكر في الجنود الذي أصابنا ضجاءه .
لسانه لا نعدو نوحاً من الحزل ، ولا تختلف كثيراً عن لعبنا الطاولة ،

وكدت أطلب من ماجد أن يستمر في طريقه الى بحري لكني رأيت
الاصواء الصفراء والبيضاء تحيل الليل في شارع سيدى القبارى الى ظهر .
وسردياً يمتد بطول نصف الشارع ، ورجلانا هائلا من البشر فأردت فعلاً
أن أرى الحاج لقمان هذا الذي يجتمع له هذا الخشخشة .

بصوتية وجد ماجد مكاناً لمبارته في أحد الأزقة . صرنا نشق طريقنا
بالأكتاف والأيدي حتى وصلنا الى باب السراوق الضيقة ، الصلابة ، الصلابة
وحدها ، جعلتني اتقدمهما ونحس مدخل

— وصل رجال الدخيلة . وصل رجال الدخيلة .

كان الحائط يرفع ذراعيه عاليها بشير بإحدهما اليها وبالأخرى الى المنصة
التي يتوسطها الحاج لقمان وعلى جانبيه عدد كبير من الرجال ذوي
الضواير اللامعة والحلابيب الفاتحة السابعة . الحاج لقمان يرتدى بدلة
سوداء مثل وجهه تنسع مثل وجهه أيضا الذي بدأ مدحونا بلهت . والذي
حدث بصفتنا برجال الدخيلة هو الذكورى نقيب العمال في شركتنا .
إشرأبت أعناق الحائسين فوق المنصة تطل علينا ، وحيانا الحاج لقمان مرة
عفيفة من رأسه الصخر ، وأنا أفكر في الذكورى ، والذي أوجده .
هنا ، وحده بالحاج لقمان

جمل الذكورى يوسع لنا طريقاً الى الصف الأول . تبستنا حالة الدولار
اللاحق برجال الدخيلة كما قال سمعت ماجد يقول أن لن نخرج من هذا
الفتح . ما كدنا مجلس حتى أخذنى الذكورى من ذراعي ممشيت حنيفة .
سحني وانصرفت له فليدا أمامي طفلاً يسحب رجلاً أعشى . حذفت
المصبة قال .

— انتظر هنا لا تتحرك

وقفت غير مبال على الأرض المفروشة بالرمز . حاولت قراءة الكمات
للتفتوشة على قماش السراوق في تكويش وخرق متداخل وصعب عاد
الذكورى في يده مظهره صغير متفتح

الوحيد في الشارع ، والموجود أمام بيت عبد السلام ، مواسير الصوف على حمار بيت الياهمين الذي سقط ملاحظه في أكثر من موضع ، وشمت لنياء فيه وتكلمت فوقه الرطوبة ، ورأيت ابن عرس فوق ماسورة بحري صاعداً ..

— الحاج يرسل إليك هذا مبلغ ومليك أصوات الدخيلة أعرف أنك قادر على ذلك .

هل أقول نفي أصبحت آفة تتدلى على حيث يوجد تهود ؟ . أثبت عكس ذلك يوم بيجين . أخذت الطريف وكذبت أصحك من المذكوري الذي يعرف عنى ما لا أعرفه عن نفسي . قال .

— محسماته جيبه كاملة

ونمت صامتا .

— سينجح وستسقط كل المعارضة . اطمئن

كنت أفكر هل اقتسمها مع حسن وماجد من أخيرهما ؟ لكني قلت بمرأة :

— هذا مبلغ صغير بالنسبة لحي كالدخيلة .

ولأول مرة أكتشف أن للمذكوري نظرة تحب

— إدد صيدها

قال عازيتك رغم أني لو مضته لطار في الفضاء . قلت :

— قل ليحاج مبروك . أصوات الدخيلة في جيبه .

أعرجت النقرة من المظروف وحشرتها في جيب بطوني . ماكدت أتبعه عنه لأعود إلى السراذق حتى أوقفني وهمس لي اذني .

— احراج سيعطيني شقه .

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

أحدتني قدماي الليلة إلى الشارع الذي هجرته . رأيت بيت الياهمين مظلماً تماماً . لم تعد هناك واضحة يتقدم نحوها أنفي أو تصلني . دبلت البروز وأوراق الشجر صارت متية سقط معظمها على الأرض جوار السور وجف واشتر في عرص الطريق وحسته بقدمي فسمعت بكسر تحتها كأنه قشر العول ... على البوابة رأيت قفلاً كبيراً ، وأضاء لي عمود الدور

تزوج شاب وفاء جاء أهل العروس في الصباح للزيجة فلم
يفتح فما أباب أحد فكسروه ليجلسوا الشاب فوق عروسه لا
يستطيع الالام حيوانه منها ويكوان لكاندتهما طول الليل يحاول
كل منهما التخلص من الآخر فلوها في ملأه وحلما ليعودا من
المستشفى منفصلين بدخول شفتيهما في منتصف الليل بعد يومين
تكرر احداث طمع الشاب مستجدا بالجيران الذين حلما
مفروفي ليعودا منفصلين بعد منتصف الليل عند الناس يطون
تحت الشفة العائبة يشيرون اليها ويتأمسدون ويضحكون مر شهر
دون أن يحدث شيء ولم يعرف أحد أن العروسين فقد القدرة على
الارتباط لكانهما ضلعا ومزق كلالهما وجهه بأظفاره لقد ورجع
واضطر الشاب للصرخ مستجدا بالجيران من جديد لعمدوا في
المستشفى ليحيدا منفصلين عند الفجر في الصباح وقف الشاب
وحده في البقوة يصرخ ويلطم عليه وينظر من لدور الخامس
في الأرض يكاد يفتق ألقت عروسه بنفسها ورأى حسدها وهو
يلطم بالأرض ويصر مرة واحدة كأنها اختنقة ٥

« ٩ »

صحب باب فشقه وحقنها فاحتراق النور الذي يمتد أمامي بتساع
هائل فاحأني إحساس السايح في الفضاء اللانهائي المدى مطب
عسى لأرى البحر ساطعا من تخمل اللازوردى أحسب يتصوت وأنا أنف

حاليا فوق السلاط . رجعت عيني فوجدت قبة السماو قرية قرية من قرط
صعاء ورفتها تدعني للقمر لأكسها يلى . هذا يوم لا أذكر أنى رأيت مثله
وربما عاد الله يبعث معنا كما كان يفعل قديما ونحى أطفال

أحدث شعبي وستى الخوص وما قد احتاحه من صنم وخط . لم
أكن مستعدا للصيد ولا اشترت « طعاما » . قلت سأجد من أشتري منه
على الشاطئ . يوم كهذا لا تأخر فيه الأمور ..

ما كدت أعلق باب شعبي واستدير لأنزل حتى رأيت طفلا يدمع
الوجه يصعد بصعوبة واضعا يديه على ركبتيه مداعبا عليهما بالتبادل كلما
صعد درجة . كان يرتدى جلبابا أبيض ، وأطلقت الفمحة من عنقه
السوداوين حين رأى لوجدت نفسى أنقسم قبل أن أسأله ماذا يريد ، وما
الذى أدعاه العمار ، سمعت صوت امرأة تناديه من أهل هاتمة « بسرعة
يا زاهد » قال « طيب » وجر بضيق جميل نظرا إلى وانقسم كأنه يشهدنى
على احتجاجه وتعبه وارتفاع السلم . قمرت اذن إحدى الشفق بسكان
وهذا الطفل البديع الذى نزل فى الصباح الباكر ما فعل ذلك إلى كى لراه
فى عودته وتكمل سجة اليوم بالنسرة . لكن متى دخل السكان العمار
ونقلوا أثاثهم إليها ؟

كيف لم أحس بذلك ؟

ووجدت نفسى أنزل قائما الدرج ككفرس .

فى السماء تغمر الجو وشاعت فيه البرودة فأدركت أننا ودعنا الخريف
سائيا ، وما هى إلا أيام ونهطل الأمطار الضاللة التى يبدو من كثافتها جهلها
من فوق الأرض بشرا .

— واضح أنك أصبحت صيادا ماهرا .

قال ماجد الذى ذهبت إليه فى الصيدلية أعطيه بعضا مما اصطلته .
كنا نجلس حول مكتب صغير بأحد الأركان

قلب :

— أفكر فى شراء ماكينة صد إضافية .

كان هذا صحيحا ، فالمنطقة خدب المطار صحيرية عميقة اديها يكتر
فيها السمك فى الأيام الحارة أو الباردة أوتاج وأن أنور السمك وأون لو
اعتصبت قلب البحر . الصيد بالنسبة لى ليس هواية أو تسلية . ومادى
لمست فى حاجة اليه فأنا لا أعول أحدا يحتاج لكل ما اصطاد ، إنما أن
أشاجر . اليوم ثم أشعر بذلك بنفس قوة الأيام السابقة

— أهدرنى لا أستطيع الحضور الى المقهى الآن . سافر الدكتور موسى
الى الكويت ولا أحد يساعدنى

— أنا أيضا لا أذهب — وابست — اليوم رأيت سكانا جددنا .
— حقا ؟ . ثوى رائع . أنت بطل نعيش وحدك فى عمدة خالية كل
هذا الوقت . المهم أن لا يلقوا بالأثاث فى الماء .

ضحكتنا . دخلت امرأة متوسطة العمر ترتدى فستان رخيص وتعمل طفلا
على صدرها لا يكف عن السعال والانفاس كإفناغ الطبل وهى تحبته
بدرعها بقوة خشية السقوط فهض ماجد يقابها من خلف الفاترمة . هذا
أنها لا تستطيع أن تمد يدها بالروشة التى تمسك بها يوا أصابعها فمد هو
يده وتسلوا . تنقل أمام الماترنات المالية بمصر لها الأدوية فيما أخذت أنا
الى وجه الطفل الذى يقابلنى من فوق ككف أمه وجه صغير شديد
الشحوب يخرج من همه لسان مزهوق .

وصحتها :

— طيب خذ الاثنين جنبه ؟

رأيت ماجد يجر رأسه ويتسم وقد ذراعاه يرت بها على ظهر الطفل

ثم يصع الأدوية في كيس ويهد دواءه ليخلق الكيس في أصابع الأم التي استدارت تنظر إلى بوجه خجول وتسرع بالخروج

— إسمعي .

ناداهما فوقت عند الباب واستطلعت .

— نعم .

— لا تصوي علي . يخديه إلى مستشفى الشاطبي أحسن .

— حاضر .

قالت وغلقت وراءها هو ليحس صامتاً للمحطات

— ليس معي ثمن العلاج وكنت لما الدكتور أدوية عنهم جملاً

ولهم أن يأخذ منها ١ الإلثني جنبه ١ الذي بدا أنها لا تملك غيرها تذكرت الحسنة جنبه التي اخفيت أمرها عنه وعن حسني . فكرت أن أغادر المكان فوراً . إلا أن سأله .

— أليس هناك أخبار عن حسنين . ألا يزورك ؟

هبط ماجد بضحك فجأة .

— هه . زرت منذ أسبوع يشترى بعض أدوية . أعطيتها له هدية

ومعها بعض البارودات فقد تزوج حسني

— تزوج ؟

— أجل وأود زيارته لكن لا أجد الفرصة .

— لكنه لم يخرج

— هو بعينه لم يكن يعرف وجد نفسه فجأة يمشي وحده مع أمه

بعد رواح آخر أخوته للبنات خروج .

— ولاشقة ؟

— في نفس شفه أمه

وقام يلي طلب عدد من الزبائن دخلوا معاً وتركني أفكر في أسئلتى للحمماء التي انزقت من فمي . إذن حل حسيب المشكلة في أسرع وقت . لماذا أصبحنا مشكلة ؟ ... أخذت أتأمل جريدة الأهرام للفتاة بإهمال فوق المكتب وعناوينها العريضة تتحدث عن الامجرات في إيران وعرب وصول الخميس إلى طهران . عاد ماجد يأساً . ما كاد يجلس حتى دخل شاب يرندي ينظرون جيبه وجات من جند الأسود نظروا إليها ووقف مرتبكاً . تقدم ماجد ناحيته فإذا بالشاب ينحني برأسه يمس به بشيء . اتسم ماجد وقال

— آسف . لا أبيعها .

خرج الشاب ينظر إلى الأرض . عاد ماجد يهر كتفه ويقول

— يسأل عن حبوب ملوسة .

لم يكن شكل الشاب يوحى بذلك مما جعلني اندعش بحزن . قال ماجد أن المسألة ليست بالمظهر ، وربما وصفها أحد له . تذكرت عبد السلام حين قال أن ماجد يحمل وجه طفل لم يتغير منذ كان طاب معه في الثانوية فالسنوات لا ترك أثرها عليه ، شعره الأسود أسود كما هو وبعم ، وجهه الحمري لم يزل يشرق بالانقسام ، وكل ما تغير فيه زيادة تنفلة في الوزن . لو مشي ماجد وسط عاصفة ترابية لخرج منها دون أن يمشي به شبار ، وكما تراه فكرت أنه طفل اعتنت به أمه تنورها وأطلقت في الطريق .

— هل تقدم في اللغة الألمانية ؟

تساءلت فاجبم .

تذكرت الألماني . تعرفت إلى أمريكية قالت أنها ستساعدني في السفر إلى أمريكا . غابقتها صديقة في صيدلية صديق لي بالعجمي . قالت لماذا أدوس الألمانية وإيجليرجي ممتازة ، الأفضل أن أطور ما عدني ولا أبدأ من جديد ، وأبدت استعدادها لمساعدتي على الالتحاق بإحدى المعاهد الأمريكية أو معامل الأدوية الكبرى . إنها في القاهرة الآن . روجها جاء

أصلا من أجل بعض المشاريع الاستثنائية وسيستقران في يناير القادم .
أرسلت لي من القاهرة خطابا تؤكد ما قلته .

يتكلم جادا وثقة ، وأنا أفكر ما الذى يدفع ماجد إلى السفر ، وأدور
بعينى عن غلب الأدبية المرسومة مختلفة الأكران والأحجام في الفاترينات
الرجاسية الدائرة مع الجدران . هل حقا توجد أمراض بهذا هذه الأدبية
وأوسعها . ولم يكون عدد المرضى في العالم ؟ هل يوجد أصحاء حقا لم
أبدا يعيش فوق جراثيم وبكتيريا لا يقتلها حر ولا برد وتنتظر دائما قابضة
في الأركان ؟



إنفتحت أبوابا النساء عن المعطر المذخر الذى لم يكن منه بد .
تكررت الاسكتلندية في النمل الذى تمدد فوق النهار ، وسيت حستين
وزيادته .. صرت أخرج في السادسة صباحا كأننى أخرج في منتصف
الليل . أمشى جوار الجدران بهذا بقدمي ما استطعت من الأحوال
لصارولى المياه الساقطة من المزاريب فاستند بكفى على الجدران بكاد
صدري ووجهي يحنكان بها ماشيا ما استطعت على سنى حذائي وأكاد
أزرق أكثر من مرة . أرى الناس تفعل مثل فيدو لي وأنا نستيقظ نبيدا
يوما كالخشرات ...

لم أنقطع عن العمل . ماد أنفل في بيت انقطعت عنه الكهرباء فلم
بعد فيه غير شموع واحدة ؟ . كان العمل قليلا والكثيرون تعطلهم
لأمطار . أجلس في عرشي أقرأ الصحف التي تحدثت عن هذا الشتاء
الذى يحاجم الاسكتلندية كاسحا فيخلق البوغاز ويحطل دخول البوغاز
وبعير شعناجا ختمت لو دخلنا في جماعة ، وأحييت أن أرى الناس تأكل
أولادها بعد أن تشح القطط والكلاب ؟ .

عندت الصحف عن الصيريات التي حدثت في انقلاب الجوى حول

الأرض نتيجة للاضطرابات القوية التي تجرها الدول الكبرى عد والصبرى
سرا ، وعن تنبؤ بعض العلماء بعودة عصر الجليد واندثار الحضارة
الحديثة ، وعرض التلفزيون صورا للأمطار في أوروبا ، والثلوج التي عطلت
الشوارع والبيوت ، والقطارات التي تصادمت ، والموتى الذين قتلهم
البرد ، وتحدث الموظفون عن غضب الله على أمة صارت فيها النساء عرابا
وصار فيها الرجال لصوما ، إلا أن موقفا عاد مؤخرا من ليبيا قال أن
القذافي هو السبب لأنهم هناك يستمطرون السحب في غير أوقاتها .

قال أنه شاهد ذلك بنفسه حيث تصعد الطائرات تسلط على السحب
مادة كيميائية فتدبرها على المناطق الصحراوية المروعة . بل أكثر من ذلك
تبحث الطائرات عن السحب في المناطق البعيدة ، وتنبهها أمامها كالغيم
الى المنطقة التي يراد بها حيث يتم إذاتها مطرا . هذه العملية العجيبة
تسبب مع الوقت في إفراغ جمال إفريقيا من السحب ، لتندفع سحب
غاضبة من أقرب الأماكن إليها عملا هذا الفراغ الفاتل ، ولا أقرب إليها من
أوروبا ، والنتيجة أننا نكاد نغرق .. العالم مثل الأواني المستطرقة إذا مات
واحد في اليابان ولد واحد في الولايات المتحدة !! ..

كان يدور بين المكاتب طول النهار هذا الكلام ، وبعض أكثر وقته في
البوخة حيث يفضل الموظفون ألبام البرد الانتقال اليه ويتناول الشاي فيه
تلمسا للدفء في مكان ضيق ، وكان جانا وحاسما كأنه يزوج لنظرة
اجدها . يصحك الموظفون فيسوق الحجاج والبراهين . يقول أن أصغر
طالب في الإعدادي يعرف أنه إذا وجد شخص جوى اندفع الهواء ليلامه
فيكون حر أو يرد حسب الريح القادمة . لقد خلق الله العالم متواريا ولا
يقسمه إلا بى آدم ، وتجرب مثل على ذلك هو السد العالي الذى تثار
حوله ضجة كبيرة الآن . لقد تسبب السد في نحر الشواطئ أى طميا
للبحر على البر . قديما كان الفيضان وطمى النيل يسكبنا في البحر
لنتوسط فيمتنان هذا الأذى . كان الطمي يحمى من قوة الموح وموتحة
مياه البحر . الآن يتمتع البحر بحرية ضرب البر ولا يجد من يصدى له .

ولن تمر خمسة أعوام حتى تخفى وشيد ومياط من الخريطة . نفس المشكلة ستحدث لو أدى النيل نفسه الذى هو الأرض الزراعية التى كونها العلمى المترسب عبر ملايين السنين ، وكان يأتى كل عام ليعدل الرمال القادمة مع الريح من الصحراء سواء من ناحية الغرب أو الشرق . الآن تتآكل الأرض الزراعية على جانبي الوادى وتزحفها الرمال ولا تجد طمياً كل عام يعادل معها ، بل نغص مائة سنة حتى تعود مصر كلها صحراء كما كانت يومئذى وادى النيل . الطبيعة دائما طيبة معنا ونحن نؤيد ربي .

في لحظات فكرت أن كلامه حقيقى وحقت . سألت نفسى ماذا ؟ لا يهمنى ومياط قلن اشترى منها ألباناً لزواجى الذى لا يلوح في الأفق ، ولا يهمنى رشيد فأنا أصطاد السمك بنفسى خلف المطار . ولا يهمنى البند كنها لأني لن أعيش مائة سنة ، الا لو عاندي الله ، ولا احسب أنه يفعل ذلك فأنا يتيم ...

صرت أعيد الى شغفى في العصر كأني أعيد في منتصف الليل . أطلع ليلتي المبتة وأنا أرثف من البرد ولا يستجيب لي نور الكهراء . أشعل الشموع وانظر الى التليفزيون الصامت في كآبة . اسمع حركة الاطفال وضججكات العائلية الجليلة في الدور العلوى فافكر في هذا النوع الجديد من البطولة الذى سيضاف الى بطولتي السابقة إذ سأحيا منذ الآن وحيدا وسط أسر يتوائمة . افكر كيف حدثني ألى مرة عن شتاء كهذا غرقت فيه القرية وهدمت بيوتها ذائبة في الماء فصار الرجل حتى الركب واشتعلت الحرائق كأن الدنيا غطرت بها وجارا ، ولتهدم الجامع فوق من تحصنوا فيه ، ولم تكن تمر ساعة دون عويل على بقرة تلفت ، أو عجوز نجس ، أو طفل مات . قال أن أسرته عجت جميعها لأن جده — شجرة — أغلق الباب عليهم منذ البداية وقال ليقص الله أمراً كان مقبولا .

كنت صامتا بالليل والنهار . اسمع وأخرج على وجوه الناس شاردة العيون وأشعر أن هذا الشتاء لن يمر بسلام .



لم يحضر الحناز سوى عدد قليل أعضاء التلمذة وعشوة أو أقل من العمال وموظف واحد هو أنا والحاج لقمان الذى جاء جلسته حواري فصرت حنكمتنا له في عتقى محسمة جنيه لم أصل له بها شيئا . لكنه نجح في الاتصافات ، وكان يعرف أنه سينجح ، ولا أعرف لماذا لم يوفق لميله . لا بد أنه يجر الكثير منها . اذا كنت أنا أجدت محسماتة جنيه كممثل لحي صعب كالدخيلة فكيف أحد ممثلو العمريه والوردبان والمفروزة وما يصل ؟ .

في البيت استقبلنا شاب لا يخطف كثيرا عن الذكورى عرفت أنه أخوه . جلس معنا في حجرة صغيرة صامتا متورم العينين من البكاء يتنا جلس الشيخ مذهولا بلطم كثيرا جنيه المبتة الدبل فوق وجهه ركبته ، يقرأ مرتعش الصوت والكفين والأذنين في الوسط عدد من الشموع فوق منضدة رخام لانقطاع التيار الكهربى ، ويسمع صوت رجات المطر في الخارج فيقول البطر منا « النهم الطيف ببدلك » بنا في الحاج لقمان اكثرا حرنا

— كان الذكورى ذبة الشباب

— كان يملك باحاج ولا اعتراض على أمر الله

قال الحاج لقمان ورد أخ الذكورى عليه

ما الذى جعل الحاج لقمان يذهب إلى أم رجب ؟ قرب العمارة يفتقد هؤلاء لصيد العمارة في الخلاء وسط الصحراء في هذا المطر الداهم ولذا صحبه الذكورى ؟ ما هو نوع الثعبان الذى لفر فحاة من عجم لاختار الذكورى من بين الكوكبة التى تصحب احاج لقمان ويولدته في ظهر يده ؟ حال احاج أنهم وقوا مدهونين وهم يربو الذكورى يصرح ويتلوى على الأرض وقد تشجبت أصابع كفه اليمنى مفتوحة على اتساعها وقد أمسك المعصم بكفه اليسرى في الوقت الذى بدأ الثعبان الطويل الأصفر المشرب بالخضرة يعود زاحفا على مهل لا يدرى ماذا فعل أو لا يتم قال الحاج أنه لم يتوان في حمل الذكورى إلى مستشفى العمارة في

سيارته التي قادها بنفسه إلا أن التكروري مات في الطريق - ليفضّ جلّته
وبانت عظامه رغم أن المسافة لا تستغرق عشر دقائق بالموسم تحت
المطر . قال أيضا أنه فكر دون إرادته في شكل التيمان وكيف تم الحادث ،
وأكد أنه كان مُرسلا ليعذّ فضاء الله ، وإلا ما عسى الحاج ومن معه
عنه ، وما صار يرحف في هدوء وأطمئنان بعد اللدغ .

نخرجنا سهول في الهواء الذي يصنع وجوها من كل ناحية ، ونقفر
تحت المطر ووقل الماء ولي الظلام .

— أعددني ما تمنني غير المطر .

قلت لحسنتين الذي زوّجه في شهر مارس بعد انقطاع المطر بأكثر من
شهر .

— وأنا أيضا . لم يكن مطرا عاديّا . كان غضبا .

قال وهو يفرّك كفيه في سرور . هو الذي فتح لي الباب فرأيت في
الروب الصوف وطوق رأسه الطافية الصوف روجه أحمر شديد الإشراف كما
لو كان قادمًا من أمام قرن . ما كدنا نجلس حتى نادى « انتاهل » زوجته
فدخلت يسبقها عصرها .

— هذا هو شجرة الذي حدثت عنه — وعاطبني — ليس لي كلام
إلا هنك وماجد وعبد السلام . ألا توجد أخبار جديدة عن عبد
السلام ؟

كنت وقعت أصابعها وهي تبتسم بمودة . إيتيكك ولم أعرف هل
أمتها أم أرد عليه فجلست .

— أعددني مرة أخرى يا حسنتين .

كبت حقيقة أشعر بالتقصير . وكان هو لا يزال يدعك كفيه في

بعضهما . نادى زوجته من جديد فأقبلت تحمل طبقا كبيرا من الصبي
التفوش يزهر برادية مائدة وفوقه البرتقال مقشرا . وضعت أماما على
الضفة الرخامية المنخفضة . خرجت ليأديها بعد قليل فعدت جاملة
طبقا يشبه السابق فوقه اليوسفي الكبير للصبح . انصرفت ليأديها بعد
لحظات فتدخل حاملة طبقا من نفس الصنف فوقه النوز . في دهشة أقول
« لا داعي » . تتسم بدعوة وهو يمر ويقول « الشاي يا بنهار ثم
القهوة » . يتقرب من العاكهة ويقدمها لي بيده ويحلف حتى آكل . أتردد
كثيرا ويحى ولا يتركني حتى آكل وأكل أشعر للفاكهة صعبا مختلف عما
ذقته في حياتي واتساءل هل تمررت العاكهة في مصر وصارت أجمل فجأة
أم هو الجو الأسرى المشبع بالأكفّة حولي .

دارت عياني على الجدران المطلية بالزيت الجديد ، والمقاعد البسيطة
الشكل والنمط هدت لي الحجرة جميلة متجانسة . تابعت حسنين وهو لا
يكف عن نداء زوجته في سرور طقل . يستقبلها بعينيه مفتوحين بالألق ،
يبتلعها بها في سعادة غير المصدق . فكرت أنه هو الذي خلقها لنفسه
بنفسه وإلا لئلا هذا الزهو الظاهر والفرح ؟
— مه . ما رأيت في الزواج ؟

كنت أتوقع أن يعيد سؤالي الذي لم أحب عليه عن عهد السلام ،
ولمست زوجته وهي تصع الشاي أماما . فاحسني بطيه منها أن تعد لنا
العشاء . وضّئت هذه المرة بشدة فارتعجت زوجته وأمر وجهها ولات
بصوت خافت كالسمة « لماذا ؟ » فلم أعرف بم أحب واستسلمت
مخرجت بحسني يمس في أذني بصوت مسموع .

— سأزوجك . دلم على نهارتنا .

رأيت وجه زوجته يشتعل من جديد وأحسست بأذني تشتعلان .



لماذا قال دلم على نهارتنا ؟ . نجا أي وجّله والعائلة كلها من النصر

كاسح لأهم تركوا أمر الله بعد . هاج من اللاتني أن يصيح دعائي إليه
رغبى في الزواج ؟ يجلها من لا يتم يا حستين وأمر الله لأبد ينفذ .

مضى شهر وشهر وتذكرت الذكروى في عيد العمال فكذبت أبكى
لا أعرف حتى الآن ما الذي ليزاده الذكروى منى أو أزياده في . كيف
سكنت عن حرائمي التي كانت ترفع بحمى إلى السماء لو أراد ؟ .

كالعادة لم يشارك في عيد العمال غير أعضاء مجلس النقابة . بدت
الاسكندرية وهي تدح في الصيف جهمة هذا العام فارتدت لباساً أصغر
من أبقار جهوت أدوات الصيد ، واشترت ماكينة جديدة ، وفكرت
أن أعرق حسيين وورجته الرقيقة باسمك للديس والبورى . لم أكن أعرف
في لي أصطاد دحل الأسطى زهنهم حجبى كذبت أساءة وبعث ذلك
ما جعلنى ألقاه باسم إلى الغابة وأحضى به مرحباً وقال ضجأة

— تعرف طبعاً أن الذكروى مات ؟

جعلنى حسم

— هاك انتصافات عامة للنقابات في أغسطس ولقد وشحنك لمنصب
النقيب .

تأملت ولم أستوعب كلامه في الحال . يقول منصب النقيب ويقول أنهم
رشدوني .

— أنا ؟

— طبعاً .

تأملت تأمل وهرشت رأسى بأظافر يدي اليسرى

— أنا ؟

— طبعاً .

صرت أبتسم وصار هو يبتسم .

— لست هزوة يا ستاد شجرة . لقد استقر الرأى

— رأى من ؟

— رأى ورأى السائقين زملائى ورأى العمال

تراجعت بمنعدى إلى الخلف وتطلعت إليه من جديد . سمير جد .
يكاد يشعل فضاء الحجرة كله ويبدو للكلام خارجاً من عمه الصغير كأنه
خارج من ثقب في برميل وتحدث في لهجه وثيقة تدعو إلى الصلح
حقاً .

فعلنى استراحة عميقة . تذكرت يوم عودة السادات من كامب ديفيد
وكيف تأمر على مع زملائه ، وكيف فاز وحده أو معهما بشر الوجبات
الماهرة .

قلت

— ماذا تريدون بالضبط ؟

— لا شيء . أنت أفضل من يتولى هذا المنصب . الذكروى لم يكن
يخدم العمال . كان انتهازي يحقق مصالحه الشخصية .

سكت قليلاً . الرجل يتحدث في السياسة . هذا الوغد يتحدث في
السياسة . الذكروى الذى أنقطع عن التدخين بهزج كان انتهازي ؟ .
الذكروى صاحب الوجه من سوء التفتية لم يكن يخدم العمال ؟ .
الذكروى الذى أتاح لي ، ولدت الضيق الضخم ، أن سرق أموال الشركة
كان انتهازي لا يخدم العمال ؟ ...

— يا أسطى زهنهم انتهت الاستقالات . البلد هالكة كما نعلم . أم أنك
لا تعرف ؟ . ممارسة وفتنة طائفية وكل يوم نصبة لحزب سرى ،
مسلمين وشيوعيين وعملاء ليبيا وسوريا وإيمن وكل الديا ، والرئيس نار
شيمة في الشعب صابحاً ومساء ، وتطلب منى أن أشرح نفسى .

تأملت كثيراً وهو يحط شفته السفلى هر كته الأيسر واقرب منى
بوجهه فمحجزه المنكب وكبرشه معا إلا أنه قال بحس :

— واحنا مالنا !



ظلت أدوات الصيد مركونة في المطبخ . علاها التراب وكساها لماكية

أخديده أيضا . أتمنى الأسطى منهم الذى وجته أكثر عافية منى . كان يسبقنى فى الورش متدسا بين العمال داعيا لهم أن يلتموا حولى . يصافحونى صاحكون لكن لا يتحدثون معى فى شيء . توقعت اسئلة كثيرة ومن كل نوع عن مطالب عائلية ، لكنهم يكتفون بمصافحتى والانسام ، والدعاء فى بالتوفى ، وينصرفون الى الآتهم .

أحسست بغيا حولاى ، وأن نوعا من الالهة يسيطر علينا جميعا ، إلا أن الأسطى منهم قال لى أن هله هى العادة و أى انتخابات . اللهم أن يرك اعمال بينهم أكثر وقت ممكن . لم يكن ذلك سهلا . لكن بينهم ولا أدرى كيف ، استطاع إقناع المهندسين ورؤساء الأقسام ألا يعترضوا دعوى الورش ولعامل . كونا لى فرقا من السابق يتولون طبع بطاقات الدعاية واللائحات والمصنفات التى حمت شعارات قرأت مثلها كثيرا على لافتات الانتخابات فى الشوارع ، شجرة حور من يتشككم ، ، شجرة

نصير العمال .
ما لذى جعلنى المنفع لى هذه التجربة ؟ لا أدرى . أشتى ويخى الأسطى بهم أمامى . لكنى رأيت لأول مرة الشركة التى أعمل بها منذ ثلاثة عشر عاما . مساحات واسعة من الفضاء الأبيض بين الورش لا تشوهها ألواح تصاج محروية ولا المصائد الخشبية المضحمة ولا الأوتار لمعفة . لى لوروش صرث أشم رائحة الزيت وانسجم على الأرض ، والملابس ، ورائحة اللحام ومصهورات الخديد . رأيت عمالا يتحركون فى عاتية ومرح ، يحنون فوق ماكينات الخرافة والمفاشط المصلاقة وماكينات تشكيل الألواح وقضما فى مودة وخشوع وحبه الكليجى أليفة لى من ترددهم على يطبون بيديا أو شهادة ما ، أو ابدعها فى اللطف . اكتشفت قيمة عمل م يكن مع لوروش وليس كل عامل مجموعة أوراق أمامى . بين دهنى اسف حبة مصصة غلاوات وبزقيات وحصولات ومرص واضطاع وروح وعباب أما تقريبا أكثر موظفى الإدارة شهرة عند العمال . وقعت كثير مع العاملين عند السفينة التى يتم ملؤها وهواء البحر يتنابع

عاملا حلوقنا وأنوفنا موسعا فى صدورها والبحر يبدو لى مختلفا عنه أمام شرفة شقتى . هنا بحر زاهر بالسفن البيضاء المختلفة فى المياء ، تلعب مداحنا: الخوداء العريضة والقصيرة ، ويرق أجسام بخارجها العذبة ، والشمس تبدو تيارك هنا الكون الزاهى بالحركة وأسمى تمتد مساحات ماء كأنها تنهد وصوتها نهينة حميمة . لكنى كنت أعود متعب إلى شقتى فأنام مبكرا . فى كل يوم أهرب الى الشركة أقرر الإستمرار فى التجربة . أعود لى شقتى تشتعل النار فى قديمى أقرر الانسحاب . الأسطى بهم والسائقون يأتون لى أيضا فى الشقة يتحدثون عن ضرورة شراء أرض فصاء بنى فوقها مساكن للعمال ، وضرورة بناء مسجد وسط الأرض . أبتسم وأقول إن شاء الله يتحدثون عن ضرورة زواجى لتعمر شقتى اغالية . بل فاجأ لى الأسطى بهم بقوله لى إذا رغبت حقا لى الزواج فما على إلا أن أشير إليه فيقوم هو بالملازم على الفور . حقا قال ذلك . حاولت أن تغافل عما قال . كنت أنفجر فيه ألا ينسى أننى صاحب الفضل عليه ، وأنه فى النهاية طالب رزقى أما أنا حظ فى النقابة وكل شيء . لكنى حدثت عن قلة خبرتى بمشاكل العمال . « هل سألك أحد شيئا ؟ » سألتى . أجبت « لا » . قال « لا مشاكل » . وحننى على المرور على المقاهى القريبة من الشركة بأحياء القبارى والمفروزة والوردان حيث يعيش أكثر العمال ويسهرون . قال أن هذه الطريقة لم يفعلها أحد من قبل إلا مرشحى مجلس الشعب والجالس المحلية ، وأنى بهذه الطريقة أحسن الفوز تماما خاصة وأن هناك لفظا يشبه أعضاء النقابة القدامى حول ترشيحى . يروجون لدعائيات تقول أنى فى النهاية موظف بعيد عن العمال وإن كنت لا أحمل مؤهلا عاليا .

بدا لى الأمر جادا ، إلا لى أحسست به وكذب . لم يبدو أن أحد مهم بهذه الانتخابات ، لا من القدامى ولا من العمال ولا من المهندسين والرؤساء . الكل يصافحنى بإحسانة عريضة وتمنى لى النجاح ولا يتحدث معى فى أى شيء . لا يسألنى لماذا رشحت نعى ؟ . كل ما

حدث وأحس به أنى انقفت أكثر من مائة وخمسين جيا على الدعاية حتى الآن . لكنى صلت ما يريد . لا يمكن أن أراجع . أريد أن أكون نقيبا لعمال . أول مرارتي ستكون عدم الإشتراك في المسيرات واستقبال الرئيس والرؤساء . سأقطع الطريق على زعيم .

صبرت أعود من القضي مهلجدا بعد منتصف الليل . لم أجد إلا عمالا يبيعون العصافير والدومبو ويرتفع صياحهم بالصبر و « المعية » للمهرج . يطردون لي شاي أو قهوة ويتراجعون أمام إصراري على دفع الحساب كله مرة تحدث أحدهم فقال :

— أهم شيء بالاستاذ شجرة أن تفعل شيئا لأماني .

— من هو أماني ؟

— ألا تعرفه ؟

— لا .

نظر الى زملائه ثم مصدق وقال :

— أقدم واحد في الشركة . إنه حكاية وحده . مسكين .

سكت واستمر هو في الكلام

— منذ خمس عشرة سنة ، والشركة مشروع ولم أعداده ، كانت الأرض بحر وكانوا يردمون البحر . سيرت النفل نافي محملة بالتراب والحجارة وتلقى بها في الماء . كان أماني بين العمال الذين يقومون بتسوية الأرض بعد أن يرتفع التراب فوق الماء . كان قادما تنوه من الصعيد وسعه أخوه الأصغر . سقط أخوه في الماء ولم يستطيعوا انتشاله . فشل الغواصون في العثور عليه ، ولم يطرد منه ابنته الى أي مكان على شواطئ الاسكندرية . من يومها ومالي لا يماري الشاطئ . يأتي قبل العمال جميعا ويجلس أمام الماء يرقى بالأماني بالأماني . أخوه كان اسمه أماني أيضا . ويطلع مع كل كلمة خدما من خديه يده من يديه وعينه لا تفارق الماء ولا الحيط الذي ينصبه لصيد السمك . يمدل إلى الماء أكثر من حيط يقصد هاية كل منها ببطء حذر كبيرة حتى لا تأخذ السمكة الحيط وتهرب إذا تحرك

الحيط واصطاد سمكة انتشلها بسرعة وأخرجها من الصنارة ودو رأسها وجسمها بحجر وطوح بها بأقصى قوته الى أبعد نقطة يصل إليها في البحر . في الساعة الثالثة تماما يكون قد جمع خيوطه ويترك الشركة مع العمال أحمر وأزرق الوجه بجرح الكفوف لا يصدق أماني حتى الآن أن أخاه مات ، ولا يصدق أن السمك الذي أكل أخاه لن يهرده . لكن كيف لا تعرف أماني ؟

كانت الحكاية مدحاجة لي بحق ، وللحظات فكرت أنه يكذب على . لكن عاملا آخر قال :

— ماذا تريد أن يفعل له ؟ الشركة تصرف له راتبه وتعرف أنه لا يعمل منذ خمس عشرة سنة . نريده أن يقفه الى مستشفى الجذام ؟ لقد صار عجوزا سقطت أسنانه وزاعت عيناه وأجلا أو عاجلا سوف يموت

في تلك الليلة سمعت حركة في الشقة المقابلة لشقتي في الصباح ، وكان يوم الجمعة ، صحت مبكرا على غور عادتي منذ رشحت نفسي . وقفت في الشرفة لي ينني ألتصق الى البحر . رأيت أربع ساء صفوات جميلات ينشرون العسل في وقت واحد أمام الشرفات يتبادلن التحية والابتسام . إذن أزداد السكان وتمازوا ما أبشع ما أفص أنا الذي أعود بالليل جارا سائقا كأنهما جولا ملح أصغر مبكرا ، والرجال الذين يمكنون هؤلاء النسوة الجميلات لا يزالون ناكسين . الشعب بوحاد حقا ، نوع تام تتخلص منه كأي آله تتوقف قليلا عنفان وهو ي . وبوع تام هياخذك للأحلام الجميلة ، وهو لأولئك الأرواح

أقرب موعد الانتخابات . لم يجد عمتي إلا أن تنهي غاستريج . انقعت حتى الآن ماتي جنبه في الدعاية . لم يجد يمكني التراجع . تمعدت في جولاني ألا أقرب أبدا من البحر .. لا أريد أن أرى أماني

هذا . الحقيقة أنى كانوا ما شعرت بالحساسة رغم الجور الكسول حولي .
اجتاحنى الرغبة فى الفوز لفكرة لا أستطيع أن أصرح بها لأحد الآن . ولم
أكن أدري أنى فى دورى على المقاهى أمر كانوا بيت حسين فى القبارى :
فى مقهى « النش » رأيت مقبلا يحوى بالتمساحات البهجة ووجهه المشرق .
كنت أجلس بين عدد من العمال يدخنون « للسعل » ويتكلمون مع
الدخان الكثيف . ضحك من أمورهم التى يمتحنونها بشكل غريب .

— أنت ها قريب من بيتى ولا تزورنى ؟

امسكت يديه أشده لجلوس . تنبه متأخرا إلى العمال الذين حولي
فنظر إليهم لى لربناك .

— حسين صديقى .

قدمته لهم فقال أكثر من واحد :

— يعرفه . هو فقط الذى لا يعرفنا .

وجعلوا يخلطونه بمواقع بيوتهم ووجهه يزداد احمرارا ودمعة . تضايقت
فعلا من هذا الحديث الخائب .

— جلسة انتخابية .

قلت مبتسما فابتسم . أعرف أنه لا يصدق ، بل لا يفهم ما أقصد ،
لكن العمال حدثوه عن شرفهم بتشيل لهم ، وعن المؤتمرات التى تمحلك
ضدى ، وعن تصديهم لهذه المؤتمرات والدفاع عن سميتى . الاستاذة شجرة
ليس بعيدا عن العمال ، بل هو أحرف الناس بهم . لللفات عنده
وباسمات كل شيء من أى شخص .. كانت هذه أول مرة أسمع عن
المؤتمرات . وأعدلى حين خارجا :

— لماذا لم تأت ؟ لقد رشحت لك لإنهاء فتاتين وكنا نرنا كل
شيء .

— لماذا لم تغبرنى ؟

قلت ذلك بعد لحظات . بعد أن أدركت أنه يتحدث عن الزواج .

— حضرت أكثر من مرة ظم أجلك . لا فى المقهى ولا لى البيت . م
أكن أعرف ما تفضله . أنجيت ما جد .

— لم يغبرنى بشيء . — وسكت قليلا . وما العمر الآن ؟

— لا شيء . تزوجت الفتاتان . موسم صيف والعائلون من دور
البرول لا يقرون على شيء .

جعلنى أضحك بعد أن كنت أنكلم كلأخود . فكرت بجدي ما
يعمل من أجل حق . لكنى لم اتصافى من هسى . قال وهو يودعى :

— بالناسبة اخراج لقمان كان يجلس فى هذه المقهى فى باكر أيامه .
سوف أمر عليك يوما .



سمعت طرقا شديدا على الباب . من الذى يفعل هذا فى السادسة
صباحا يوم الجمعة . خفت للحظة . فكرت أنه لا أم ولا أب ولا أخ لى
ولا قريب أعرفه . تحركت فى ضيق من هذا الأحمق الذى لا يدق الجرس
وضعت الباب .

— الزبالة .

كان يقف أمامى فى جلباب سابغ بالفدرة ، يسيو جاكيت محرق
حائل ، يضع جواره فوق الأرض « مقطعا » كبير . تحيرت للحظة :

— لا توجد زبالة .

وأغلقت الباب . وقفت وسط الصالة . يأتى عمارتنا الآن
زبال ! التلأت عمارتنا إذ ذ بالسكان وروبو حياهم ولا أدري حتى أمس
كنت ألقى بالزبالة إلى البحر ... وكنت فى حاجة إلى مع كادوت .
أجريت الانتخابات أمس وفزت بأعلى الأصوات . دخلت سرورى فتمت
من جديد ..

« يجلس جولو لليلة العامة بالدخيلة شعاذان . أسماها ناهر
 مدرسة ابتدائية معروف كان يفتح للفرصة بالمل ويكبر المدرسين
 على المنصور والندوس للمقاعد استألية ، والقال جزار بكى
 الحروف بين يديه وهو يذبحه وقال له إنما هو كبش أرسله الله من
 السماء . فتذ أهام صار للرجلان أوجه » .

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« ١٠ »

— نقيب العمال ونام ؟ .

ما كنت أفتح الباب حتى هتف حستين بذلك . مددت يدي
 أمافحه . لم أحضنه . لم يحضنى يوم ذهبت أهله بالزواج .

— اتقلونا صيفه لميته .

أعسك بقولعى فاستندت على يده حتى دخلت حجرة النوم وتحدثت
 فوق السرير . بصعوبة سحبت « الكوفرة » فوق . قلت :
 — كيف عرفت ؟ .

— صدقة أحد الذين كانوا معك عفى اللش اعترض طريقى
وصاحى وقللى وأسمى ! . كان سعيدا جانا . ألا تأخذ دواء ؟ .
— لا أحب الدواء . أكتفى بالليمون .

سكتنا قليلا . رأيت بتمحصى الأثاث القديم يعيه . ماذا حقا لا
أحدده ؟ لدى مدحرات لا أفيد بها . ووقف حسين يتأملنى وتسمع
شمامته بطريقه منيرة حتى أني اجتمعت . قلت :

— إياك أن تطلب الذهاب إلى المقهى
— لا . ولكن انشرف . هذه الحجرة كثيرة جدا ولابد أنها مبروة
بالميكروهاث . صدرى حساس كما تعرف . ثم أنك لن تشفى إلا إذا
تعرضت للهواء والشمس .

وامسك بالكوهنة التي فوق وجديها ليكومها بين يديه ثم يلتقى بها تحت
قدمي ، وحاول أن يشدني من ذراعى بقوة .
— صيب . صيب . سأهجر .

قلت وأن أصحك بصحبة هبتر جسمي كله . استلذت على يدي
ومضت جالسا على جانب السرير . حاول جدى من جديد هزفت
مضغرا . ما كدت استند على ذراعه حتى جذبها

— إمشر وحدك . سأحمل أنا المقعدين . أنت لست مريضا كما
تتصور .

بتسبت ومشتت وحدى اتعجب من حسنون وما يفعله . بالشرقة
جيدا .

— شطة عمري يا حسين .
فت وما كدد بحس
— غصنة عسرى . لا أجد وقتا للعمل ولا للنوم . أنهم يأتون إلى هنا
بمشاكلهم

— اسمع . ما ثبتت هنا لأسمع شكرك . أتيت لأخبرك أن أملا أكبر

من عروس لك . إذا كنت جلدا تتحرك ، ولذا لم تكن نذهب إلى المقهى
ونسى الموضوع .

تأتمته وهو يتكلم . كنت فرحان به . يبدو في اهتمامه في أكثر منى
بنفسى .

— بعد أن تزوجت تعرت أشياء كثيرة في عيني أهمها أنى لم أعد أفكر
وحدى . لم يعد عقلى يسأل ويجيب حتى يصيبه الإرهاق . الآن أفكر
بصوت عال . اتحدث مع إتهال فارواح . التفكير الآن مساعدة حلوة
تصور . لقد لاحظت أن النساء عموما يتسمن دائما أثناء الكلام . هذه
البسة لم ألقى عندها من قبل . ابتسامه زوجته تبت هيبت احسانا
بالراحة والجمال . بالليل حين نضمتا حجرة واحدة أرى الضوء مبهرا
جنا ، ونصل إلى البياض في أعمل درجاته ، أبيض من اللبن ، وأشعر
بسكنة الذى استلذت كل شيء فلا أكاد أدرك أن حولي غرضا أخرى ، أو
بشرا آخرى ، أو عللا غلظه المشاكل أو الأكرام ---

تصبح الغرفة جزيرة في بحر ساطع الضوء . أنا لا أغريك بالزوج ، لكن
أنت فيما يبدو جامل بالحياة . لقد وصلنا في العمر إلى النقطة التي يأخذ
فيها في الانحناء . أصبحنا نلحق بقطار الناس العادى . قطار
جميل ، وهو الحياة الحقيقية مهما تأخر ، ولو فائنا تصبح الكارثة نفسها .
هل تعرف معنى أن تصل إلى سن الأربعين مثلا دون أن يكون لك ولد ؟ .
أبسط المعاني أنك لن تراه رجلا . لا أعصد أن أحدا من جيلنا سيتجاوز
في عمره الخمسين بأى حال . أجل . إن عدد الوزراء التي تقببت عينا
وحده يمتدح عمر الفيل --- جعلنى أصحك متألا وأنا أتابعه بالبهار وتساؤلات
عما جرى في عقله ليتحدث بهذه الطريقة كأنى معارض حقا للزواج ،
لكنه استمر --- لا تصحك . أنا أتكلم جلدا . من أين يأتون هؤلاء
الوزراء الذين يزيد عددهم الآن عن عدد الشعب ؟ لكن ما علينا .
ذلك كله سيقيدنا بيع احساب . سيقف الله أمام البشر ويسأل كل واحد

عن جسميه . انصري بالذات سوف يمر بلا حساب إلى الجنة لا عمله من الآم و حياته ، وما لا فاه من تطليب الوزارات . لا تضحك .. ورغم ذلك فبحر الدين بعد الأمر لأن ظروفنا مهما صعبت أسهل من غيتا . عن الأقل لدى كل منا مكان يؤمله للاستقرار . ماجد يكسب من الصيدلية ويستطيع الحصول على شقة لو أراد ، وعبد السلام سعيد وأول ما يعنيه هو الزواج وسوف يذكرك . لدينا ميزة لا يملكها إلا من قبلها وهم بالآلاف ، وحتى هؤلاء يتزوجون ، يشكون لك اليوم ، ولديهمك الى رواجهم غدا . يعيشون بأى طريقة ولا يتفهمون أمام أى نوع من اليأس . هذا شعب « خذمة عفايت » يهوى الفساد من سم الإبرة . ثم لماذا لا تتزوج ؟ . هه . لديك أن تصور لك النقابة أنك ماضل كبير . يمكن جدا . ألم يقضوا عليك مرة ؟ — صرت أضحك بلا صوت وبتتر جسمي كله وأشير له يدي أن يسكت — لابد أن تعرف أنها ليست حركتك . المقدس يحيى يصنع لها أكثر منك ، وعبد الفاكهاني أصبح الجميع . وحتى لو أحييت أن تكون متصلا لابد أن تتزوج . بابليون تزوج ، ولين ، وسعد زغلول ، وسيفنا محمد ضرب الرقم القياسي ، ولماذا ذهب بعيدا . جمال عبد الناصر كان متزوجا ولديه أولاد . هه . نقب العمال !! . الحاج لقمان أصبح عضوا بمجلس الشعب . يا أخى يلحن أبوك ابن كلب .

فلنكن الضحك والسعال . بدء أنه ألقى عبثا فراجع بظهوره وتأملنى باسمها مهتجا . تذكرت الخمسمائة جنيه لكن سرعان ما نظرت أمامى . البحر يمتد صامتا بطنه الأمواج كما لو كان دائما يحلم ، وفي الفضاء نسبة مبعشة حقا . إنه ستمر حوى ينشبت بآخر همسات الصيف ، ويفتح بابا للحريص مواربا هذه الجلسة شتى من الإنعولوا للمعينة . أشعر أى لا أجلس وحدى مع حسنين ، بل معنا ماجد وعبد السلام ، فهذه الألفة التى أحسها عمه ست لغاياتنا الجماعية . كم نحب بعضنا البعض ولا ندري . قلت .

— تصور أنى لم أرى ماجد منذ حوالى عام ؟ بينى وبينه خمس دقائق على قلبي ولا أعرف لماذا لا أذهب إليه أو يأتى إلى

قال وهو يقف :

— قابله بالصيدلية قبل أن أحضر إليك عاتيته لأنه لم يحرك بأمر الفتاتين فقال أنه أتى إليك مرين ولم يحرك . توقع أن تمر عليه فلم يحدث . وكل يوم يهكر أن يمر عليك فيتوقع أن تمر عليه حتى نسي الموضوع .

— حسنى أرجوك لا أستطيع أن أضحك

— لا تضحك

— طيب . طيب . حل عرفتى كتابا ؟

— أكبر كتاب فى مصر والعالم العربى أيضا

— طيب . طيب . الآن أريدك أن تصدقنى أنا لا أهد الا شيئين

الذين . أولهما أن أتزوج ، والثانى أن أترك النقابة .



زوت حسنى فحورى بين التينى . أرملة شابة جميلة محببة لديها شقة ومفضل وحساب كبير فى البنك تركه لها زوجها الذى غرق فى نهر دجلة ، وضفة تعمل على الآلة الكاتبة وليست فى جمال الأولى . الأرملة فى الرابعة والعشرين ، والمثانة فى السادسة والعشرين . قال ببرة شديدة أنه سد حكيت حكاية الشاب الذى ألقى بالأنثى الى البحر وهو يهكر أن يتزوجنى . وأنه كان جادا حين قال ذلك أول مرة . ومضى ن نيه لو لم تكن ابتهال ابنة خاله لقلعنى على مصه لأنه فى لحظة تخيلى مفعلا تأتها فى الصحراء . لم يكن حسنى جادا فيما يقول بالطبع ، لكنى أحسست بالخزى من نفسي . مرة يصور حسنى أننى مضرب عن الزواج ، ومرة يصورنى عاجزا عنه ، ولم يبق إلا أن يسحبى من يدي ويصدى امرأة للمسكين . هذا الشعور القوي عند حسنى يصيبنى بتصور .. نكنى

تسبب أرى الفتاة « صحتك وصحة زوجته وهو يقول » الأرملة زوجها عرق
في سر دجلة ما دبا ؟ . وهل صاقت عليه حتى يستحم في دجلة . ماله
اعترت ؟ . ومعناها تصحكك من العرق الماخيل واحتلظ صحتكها
بصحتك الذي دوى . في الحقيقة لم يحظر بدهي أن الفتاة أصل من
الأرملة . ويرى لو مكرب بوحدة الأرملة أصل فهي أجل وأغنى ولديها
ملل جاهز من شقى في تربته من يدري ربما أكون مثل أبي لا أعجب إلا
بعد عشرين سنة . وانفك على لقاء بعد أسبوع



إقرب اليوم الذي أقدم فيه استقائتي من البقاة فكرت في ذلك مد
يوم لوري ولم يبق إلا أن أحقق ما لم استطع الإصباح عنه . لا أكذبكم .
ففي لحظات كنت أتردد في الاستقالة . لكنني واجهت أمورا لا أغنيها .
غيب ومرضى وإعانات اجتماعية وإندارات بالفصل وطلبات إحارة بدوى
مرتب متعارة وتنظيم رحلات إلى بور سعيد وفترات بعصول نحو الأمية
سحامين وفصول تقوية لأبناء معاصر . لمي كان ذلك كله غبا وكيف لم
يظهر خلال اخصة الإختيارية ؟ . صرت أممي اليوم كله لاهنا مهرولا في
أرجاء الشركة وبين الورش والإدارة ، وأدركت لماذا كان الذكورى شاحبا
هزلا ، وفكرت أنه كان لابد ميت ، إن لم يكن بلدة النجاة ، فيسوط
ل القلب . وصار مكسي بمنى في الأوقات القليلة التي أمضيها فيه
بالعمال الذين يعملون كثيرا ويصحبونهم هم يحرصون مشاكلهم
مجدية ، وغصت من العتاه بالملامات مكتها الصاكب وتذنت من
لأسف شباكها حتى صارت العرة كبيت الأشباح

وامتلأت شغى من تخيل أن نقاء على المراد يحل مشكلته في تخلفه في
الدرجة أو التربة ، وجعل الأسطى زينهم يحصر كل من هب وجب إلى
حتى غيبه يجمع الناس من للطرق كما يجمع الأوراق المهنه . فتشت

ونحن وجهتى أنا الذى تعبدت على أوراق منظمة خرباء و ملقات
بكساء ألتجها وألقها وأزيتها وأضيف إليها وأترع منها وتستحب بلا أدنى
مدنومة . وجاعش الأسطى زينهم آخر النهار وأد أومك أن أعادر مكسي
متبا أفكر لو أن بالعرة سرياً فلا أبرحها . وكان يلهث ويتر عرقا
وحتى :

— مصية . مصية باشجرة .

دب الخمل في جسمي لكني تماسكت . ها هو يناديني بإسمى دون
استاذ

— خور يا أسطى زينهم .

— مات إمامي .

— إمامي من ؟

— إمامي . ألا تعرفه ؟ . اجلس أولا

كنت واقفا ورأيت يشد المقعد البعيد إلى جانب المكتب . ودل :

— إمامي المجنون

كنت أنا تذكرت إمامي الذى حدثني أحد اعماله أنه أثناء الجولات
الانتخابية

— عشرات من العمال يتجمعون حوله الآن . وحلوه عددا على
الشاطيء فوق ظهره حوله سحاك مسحوفة ومن معه تيبث رائحة الزطارة
ونحمد فوقه دم . بغربوب أنه في القفزة الأخيرة كان يأكل المسك يت
ويحسون أنه أكل منه كثيرا اليوم حتى أنهم . المشكلة أنه لا أحد يعرف
أهلك أو عنوانه

أشرت إلى الملعاب وطلبت منه أن يبحث في حرى لألف وإليم ، وتركت
دراعى يتهدلان جانبي وأسندت ظهري إلى المقعد في استرخاء . رأيت
الرجل القصم يتحرك أمامي مثل كرة مقلطية وسرعان ما جذب ملعا
وضعه أمامي وفتح

— ليس به إلا ورقة واحدة

تأملت الورقة فلم أجد إلا اسمه وسنه وعمله ورقابه عند التعيين . لا عواد ولا أى شئ يدل على حركة في حياته . لا رواج ولا ترقية ولا مرض ولا نقل ولا جزاء . ورقة واحدة صفراء حمرها السوس .

— كنت أتوقع ذلك . تقول النفاة دفه

قال الأسطي بهم وأن ثأمه . ماذا لو وقعت وصعته على وجهه هذا الذى يعرف كل شئ . هذا الجاسوس ؟ !

لم يكن دفن الرجل صعبا . فوضت الأسطي زهم أن يفعل ما يلزم ، وذهبت إلى شقتي ونظرت لأول مرة في المرأة . هذا الشعوب الذى يتكرر بالذكورى كيف أغفل عنه ؟ . لا وقت لدى لأهوى الطعام فأعيش على المعلبات التى يكتشفون كل يوم أنها مغشوشة أو عمر محصنة للانسان لم يكن أعضاء القديسة يسهلون لي أى عمل أو نشاط إلا احالة المشكلات والطلبات الى . وكان على أن تنتظر تنفد وعد رئيس مجلس الإدارة باعتبار المهدات : قسما كاملا سيروده باثنين من الموظفين أصبح أنا رئيسها ورئيس القسم . أمس أعينت الشركة على حاجتها لذلك بالصحف وما هي إلا أيام وينتفح موعد . بعدها سأستقبل من النفاة ولن يستطيع رئيس مجلس إدارة العودة في قراره . في الحقيقة يستطيع لو أراد لكن لا اعتقد أنه سيقعها . لا يزال الله في جانبي ولو حدث سأنقضي الشركة لأنى أكون اكتسبت حق لا يمكن الرحمة فيه . أجل . سأدافع عن حقوق لأه لا قيمة للإنسان إلا م يدافع عن حقوقه ١ . والمهم الآن أن مسألة رواجي نظورت بسرعة . روت حسين في الموعود وجدت « نوال » في صياحه روحه ما كدت تفكر كيف سأراها حتى نادى زوجته وتساءل :

— ماذا لا نجسك معا ؟

نسمت ونصرفت لعمود بعد دقيقة واحدة تحمل طفا من الصبي . فيه من قبل فوقه الموز ونوال خلفها . صاحسى

هل يصدق أحد أن هذه أولى مرة أصفح فتاة ؟ عمرى الآن خمسة وثلاثين سنة . صافحتي رميلات كثيرات وجازات لأنى في الجبر ، وكلهم لم يكن نساء ولا كنت رجلا . يد « نوال » دافعة ترتعش وبدي باردة كالتلج . ووضعت وجهي لأرى وجهه التى صارت انظر الى الأرض صغيرة كقطعة جلست ضامة ركبتيها وساقها . حللانية نوال كما قال ماجد يوما عن فتاة القلعة ، ولا تكف أهدايا الصديقة عن الإزعاش لأبد تشعر بنظراني . لأبد تعرف غرضي . ومن يدري ربما تنظر الى بطريقة ما هي الأخرى . هل يكون عام ١٩٨٠ هذا حاسما في حياتي ..

في العمل . في البيت . في الطريق . في دارى المسنين . في جنسائي منفردا مع نوال في إحدى حجرات بيتها تلمع أمامي فجأة فكرة وتختصي شئ لأبد أن أتذكره ولا أستطيع .

— جفنا نحفل بك .

قال حسين وهو يفتح ذراعيه على اتساعهما ويأخذني في أحضانه . كنا نينا الأضواء ، وكنت سمعت جرس الباب يدق متواليا بطريقة جعلتني اتصور أنه الأسطي زهم جاء ومنه مشكلة ، وصممت لو رآه أضربه ولو استطعت ألقي به ومن معه من الشرطة . لكنى وجدت حسين وماجد علف الباب . احتضنت ماجد أكثر من مرة وأمرحت احضر مقدمين من المقاعد القديمة التى مستير خلال أيام إلا أن ماجد قال :

— نذهب الى القهى . القهى أفضل .

أدركت أنى لاحظت شعرات بيضاء قليلة تناثرت وسط شعره الأسود اللامع . وقفت وسط الصالة ولم أحضر للقعدى . شنى ماجد وأنا في منتصف المسافة . ما سر هذه القهى الصغيرة الخالية القائمة على طريق لا

مجان نزع فوقه سيارات مجنونة ؟ لدى الكثير أود الحديث فيه مع كليهما . كيف تشتري الخلاعة أنا ونوال . كيف تشتري البوتاجاز كيف تشتري الصبى وأدوات لتطبخ ووقع اختيارنا على اثاث جميل متواضع شترته بعد أيام نقدا كله إذ سأسحب مدخراتي التي عادت لتصل الى الألف بعد أن كانت تقصت بسبب الدعاية الانتخابية ، وكيف أن أبا نوال وأخوتها سبسا محمود بألف جنيه ، وكيف لم أجد الوقت لأمر على ماجد لدعوه محصور عند القرائ الذي اقرب ، وأني لم أكن لأنسى ذلك مهما شغلت ، وكيف لم أقسم حملا للخطوبة واكتفينا بلمس الدبنتين بيد أسرة نوال ، ولكن في عقد لقران لئلا أن تحصر العائلتان ، عائلة نوال وعائلتي ، وعائلتي هي أنت ومامجد وحسين ولا يتقصها إلا عهد السلام .

هذا حديث لا تتسع له القهى بمامجد فلماذا تريدنا أن ننصرف ؟ لقد وجدت نوال هادئة حنونا . أريد أن أحدثك كيف قبلتها لأول مرة وجففت ، ثم كيف روضتها فصارت تختبئ الآن في صدي كمنصور وتكاد ذراعاى تخفيانها تحتها . ها نحن نذهب إلى القهى وقد دخل في حديثنا المكرور .

— هل هذا ديسمبر حقا ؟

تساءلت ويتسم حسنى وقال .

— ها ، أنت ترى الأيام مختلفة .

ابتسمت وقال ماجد .

— من يرى هذا الشهر لا يصور أن هذه هي الاسكندرية . ديسمبر الماضي لم ينقطع فيه انظر وأخذ يامر معه . الاسكندرية صارت محونة — وصعدت — أحياء مستزوج ياشجرة .

وألقي بقطعتي الزهر منلحرجنا أمامي داخل الطابولة . لمعت للفكرة التي تراوعى ولا أدركها ، والتي تدفسي الى محاولة تذكر شيء نسيته . أشعلت

سجاريه ويستم وأما أهنر ططعتي الزهر داخل يدي .

— مالك ؟

تساءل ماجد الذي قفل إلى صمغتي واتشعال بالن

— تخيت لو أن أمي كانت حية .

ودحرجت الزهرين أمامي ولططت يدي تنحب لا أدري بما ابدى جعلني أقول ذلك . ومد حسين يده برمت على كعبي وصار وجهه أحمر وحاطب ماجد وكما ليغير الموضوع .

— أرايت بيت الياسمين ؟ . لقد هُدم وأصبح مكانه أرضا صماء .

انقبض قلبي . طال الزمن الذي لم أمر فيه من الشارع ولا أدري .. قدامى تمودنا على المجران . ونابت حركة الزهرين بينهما ماجد .

— رأيتاه في الطريق البك . طبعنا تعرفه ؟ ..

عاطبى حسين هذه المرة . إذن يعرف حكاية بيت الياسمين ، ويعرفها ماجد ، ويعرفها الاسكندرية كلها كما قال عهد السلام . أردت التبرج . قلت :

— لو تزوج ماجد ، وعاد عهد السلام وتزوج ، لأصبح لنا جميعا أولاد يكبرون معا .

— الله . الله . جميل . تصالح حسن الإمام .

هتف حسين فضحكنا جميعا بصخب ومن القلب كما كنا بعض من قبل إلا أن الصمت عاد يرسخ فوقنا أكثر من مرة . وناسنا ماجد .

— لا حسي ولا خير من الأمريكية .

نظرت إلى حركة الزهر . أحسست بقطرات حسي التي كد سيا الأمريكية وحكايتها مع ماجد .

— للدكتور موسى يرسل التي عطابات كتوة يفرى بالسعر . امكر ندبا أن أخفق به في الكويت .

لم بعد بمكاً التعامل عما يقوله ماجد الآن . أمسك الزهري في يده وكف عن العبث ينتظر منا تعلقاً . أردت أن أتكلم فوجدتني سأصرح . ظرت لي حسي الذي ينظر الى عمر للوجه . نظرت الى ماجد فوجدته متجهماً ، وأخرج لنا من جيبه رسالة قال أنها من عبد السلام ..



وقد امت الحرب بين إيران والعراق كما تعلمون . لابد أنكم تقرأون الصحف أو تسمعون الأخبار من الراديو والتليفون . لا أصدق أنكم مشغوبون إلى درجة عدم الكتابة أي كل هذا الوقت . لا تعسر عندي إلا أنكم لفرغم . وإذا كان ذلك فتمسكوا العزيمة لكل منكم في حياته الجديدة . ومن يدري . ربما لا يكون لديكم الوقت فضلاً . المهم . لابد أنكم تعرفون أن لي خبرة كبيرة بحروب . يبدو أنها قدرتي . غنقتي الله وطار بعبد السلام كس محاربا . لي عندي إذن في كل مكان ولا أدري . ولا أدري حتى الآن من هو عدوي بالضبط . المؤكد أنني محارب شجاع . هذا يكفي لأخوض أي حرب . أشجع محارب أنا في الشرق الأوسط ، وأنا لم توجد لحرب فعلتي أن أشعها . أشجع محارب أنا في العالم . لقد تطرعت لمحرب في صفوف العراقيين . لا تدهشوا . أعرف أن الناس سائر لتجميع الأموال وتعود . أنا لست كسائر الناس . أنا مختلف عن سائر الناس . أن محارب أولاً وأخيراً لذلك تطرعت لخرب أيتها كنت . أجل . لأجيب أهدا أن تكون سوات عمري المخلوة حلوة ؟ . هذا قدرتي فهل أمانده وأصبح مثل سائر الناس ؟ أعرف جيداً أنني إذا أسرت سيخترني الإيرانيون مرزفا ويقتولوني ، وإذا مت سيخترني العراقيون شهيداً ويحذروني . أعرف هذا وطك وأراح إليهما . يصابقني أنني لا أعرف ماذا سيقولون عني ؟ . ماذا سيقول عني الوطن ؟ لو سأهموني لقلت أنني لا أحب الموت ، ولا أريد المجد ، لكن منوه ، للسألة أنكم يهدون عني ، كما أنني لا أعلم حتى الآن ما هو الوطني بالضبط .

حدثت لي متبلى بعد السهرة أفكر فيما يريد عبد السلام ما أو يعمله بنا . رادوني الخن أن أعود من الشارع القديم وأرى بيت الياسمين وقد تهدم إلا أنني لم أستطع . أرخت رسالة عبد السلام ظلها الثقيل فوق ما هو الوطن بالضبط ؟ .

فكرت لأول مرة جاداً أن أكتب إليه فكرة لمعت لي دهمي أردت أن أغير عما . لو مت يا عبد السلام لن أدوق طعم طرفة موصول أن يث يحمل سري . الناس سائر لتجميع الأموال وتعود حفا نكن لتزوج وتسنفر . كدت تقوفا يا عبد السلام . يصبح للناس وطن وهو صغير ، أجل ، الزواج هو الوطن ، والناس هي التي تصنع الوطن . وأنا بعد أصابع سأزوج ويصبح لي وطني . أه يا عبد السلام كم أن كذاب . جعلتني اتساءل الآن عما مصي من عمري . كيف كنت فيها . أين كان الوطن من قبل ؟ . ليس الزواج وطناً وحده أبداً ... لن أكتب اليك يا صديقي .

وكان الليل قد أخذ يتصف ، ومصر خفيف يساقط .

الختام

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/v>

وقفت في الشرفة أملاً حيناً بالبحر الذي استيقظ مبكراً معي اليوم
ودعاني أنظر إليه . مريح ومرتاح دائماً هذا البحر لا يحرق ولا يلجح لأحد .
ليس فوقه الآن غور سفينة وحيدة في مدى البصر فيبدو بحق سيد الكون .
قلت يا بحر سأعلم ابني فيك السباحة في الشتاء الذي هو قادم فيه . من
يومه الأول سأواجهه بالموج فليس أمامنا إلا زمن صديء . وقلت يا ولدي
اقرأ كتابي هذا فصرف الكثير عن أهلك ولا تلمني . لم تكن قصتي قصة
زواج غط وإلا فهي مهزلة كبرى . فش عما عباته في زواياها من الغفار .
أسهل ما فعلته هو زواجي من أمك الخلاصة ... لا تنسى أن أتي -
بحملك - وضع بلدي فأكرمت بعد عشرين سنة ، أما أنت فشيء مختلف .
بلدت عوفي فأعلنت عن الحضور من أول يوم . كأنك كنت قابها و
ركن خفي في هذا الكون تنتظر القفز في الظلام . كأنك كنت جالسا
عند قنبي الله ما أن وضعت بفرتك حتى انتفضت واقفا تكاد تفجر
بطن أمك . لا تنس ذلك أبداً ، ولتظل تدرك أنك مختلف عني رغم أنك
من اشتغال رأسي ، ولا تكن مثلي يعني أنك لولدت صالح . إذكرني

ولا تلمنى . هذا بيت من بيت بعته غصبا فرما كان حراما . هذا أثاث
من مال فيه الغصب أيضا اقرأ تعلم ولا تلمنى . الصحيح والمؤكد أنك
حلال كللك . ولا نسل كيف استطاع أبوك أن يحفظ عقله ولا يصيه
جنون .

وقعزت في الهواء وعدلت داخلا الى حجرة المطبخ حيث تقف نوال
مكورة البطن تعد الإفطارا شيئا .

— تنفسى هذا الهواء .

كورت كفى أمامها متجاوزتين كمن يحمل فيهما ماء . نظرت لى
بدهشة ثم ضحكت وراجعت .

— تنفسى هذا الهواء بسرعة .

للت ركنت أضحك ورأيت عينها المسلمتين تلمعان بدهشة .
— أنت مجنون .

— أنت لا تفهمين . بسرعة .

— شجرة . عقلك يا حبيبى !

— تنفسى ، أشعرك

وقرت كفى من شغفها أكثر فلم نستطع التراجع لأن خلفها المطبخ
الجديد الذى يزين الجدران . لا أستطيع أن أقرب بجسمى كثيرا من
بطنها ؛ لكن يدي صارتا قريبين من شغفها .
— بعمل .

قلت فشعفت الهواء كله الذى أحسسته يتدفق من يدي حتى
أنهما صارتا ملتحقتين . كان يراد الشئ يغلى ويرتفع غطاؤه متوترا من
ضغط البخار فيحدث صوتا مترددا .

— لقد كلمت ابني في الشقة

فتحدثت عنيا الى أقصى اتساع .

— وسمعت الكلام من القضاء في كفى وأردت أن أرسله إليه . هل
هناك طريقة غير ما فعلت ؟ .

انطلقت تضحك بالتهاج .

— مجنون بحق . ثم من أشراك أنه ولد ؟

— أعرف ذلك . وسأجبه « على » وأوصيه أن يسمى ابنه « محمد »
ووصى هو محمد أن يسمى ابنه « شجرة » فيكون « شجرة محمد على »
من جديد في الجيل الثالث . وينجب شجرة ولدا يسمى على ، وينجب
على محمد ، وينجب محمد شجرة ، وتظل الدائرة فيكرر اسمى واسم
أق وجدي مرة كل ثلاثة أجيال .

كانت تتأملنى متألفة بالدعشة ورفع حاجبيها

— ولماذا هذا كله ؟

تساءلت فتبعتها بسرعة على عدتها من الجانب وأخذت أدوات الصيد
فصت :

— الإفطار ؟ .

— أنا سعيد اليوم ولا حاجة لي بظعام .

نزلت فرأيت القضاء يفتح ذراعيه ضاحكا بالصفاء ما هذا البياض
للمشرب بالزرقعة الناعمة . ما هذا الهواء الصيب الذى أكاد أقلق مناجها
فيه ؟ لقد تذكرت الآن . بالحسارتى وحماقتى ائالة جنية التى لعبتها
في المرة منذ خمس سنوات هي الفكرة القائمة التى كانت تتخيل أمام
ذهنى . هي ما كنت أريد أن أتذكره ولا أدركه هي التى قطعت على
حديثى وصمتى . ضاعت لئالة جنية إذن ولا مبرر إليها لقد بعث
الأثاث القديم كله ليأتع رومانيا نادرا ما يأتي ناحية البحر . وحتى لو
قابلته فلأريد أنه يباع الأثاث بدوره لتاجر أكبر . وتوقفت . ماذا لو

أفركها ؟ أصبح لي شقة بدلونها ، وتزوجت بدلونها ، وسيصبح لي ولد بدلونها أيضا . منذ عشرين سنة ضاعت مائة جنيه من أحد جيراننا فأشعلت زوجته في نفسها النار . كانت تئن قطعة أرض وزوجها . في ذلك الوقت كان الكهنة يتحرون بالذى . دى . فى . جرى الزوج إلى بطانية فوق السرير وحملها ليلقيا فوق زوجته يحضنها ويلفها بها بإحكام مجنون . لم يدر المسكين أن طفله المولود منذ شهر كان ملفوفا بالبطانية ، وأنه سقط بينهما ، وأصبح هو يقف فوقه . ولم يفهم معنى الصرخات المستعجلة لزوجته ومحاولتها التخلص منه . لم يدر أن من عندها تكاد تقفز أذرع ولباد تبعده عنها وتلتقط ابنها . اتخذ زوجته حقا لكنها عاشت كمنى لو ماتت ، وحاش هو مثلها شاردة النظرات ... يا الله . ذلك زمن سحق للمغاية . لا أحد يقتل نفسه الآن من أجل مائة جنيه . ثم أنه خطأى ولا يجب أن أفسد هذا اليوم الجميل .

مشيت فكذبت أصطلم بالمقدس يحيى قادمًا من الشارع القديم الذى لم أجد أمشى فيه .

— أنت ؟ . أما زلت حيا ؟ .

— مثلنا لا يموت يااستاذ شجرة . كنت قادمًا إليك

وقفت أتأمله كيف صارت لياحه جديدة نظيفة .

— أهلا بك . أعود معك لل البيت .

قلت أحاول التلطف به فقال :

— لا داعى . أولا أبارك لك في زواجك . تأخرت عليك لكوة مشاغل . ثانيا إذا كان لك أصدقاء يريدون شراء شقق فأنا ومن عدمتك . أنت شخص طيب تستحق كل خير وأنا أريد سكاكنا مثلك .

ظلمت أواصل تأمل . يتكلم معى كأنه صديقى لجرى أنى جلوت التلطف به . الأكر أنه صادقى لي كلامه فقد كان قادمًا لزيارتي حقا . كذبت أضحك وأنا أتذكر حسنين وهو يقول عنه أنه يصلح نقيبا للعمل

تحريكه غارقا وسط المشاكل بحجمه الصغير للمستدير . لقد كانت استغاثتى مفاجأة حول الكهنة أن يشرق عنها وخاصة الأسطى زينهم الذى قلت له أن لا يحاول الاتصال لي لأى سبب ، وكان توقعي في عمله فلم يفكر رئيس مجلس الادارة في الغاء قراره بحمل المبلغات ، قسما صرت أنا رئيس بما يتمتع به الرئيس من مزايا . قلت :

— هل تبنى عمارة الآن ؟

— أجل . هنا . في هذا الشارع . بيت الياهمين . لابد أنك تعرف . إشتريته وسأبنى عمارة مكانه .

كدت أقف على أصابع قدمي . وابتعدت خطوة إلى الوراء . ها هي بهجة اليوم تكاد تقعد . وقال :

— إشتريته لنفسى هذه المرة .

كان يتسم بثقة وسعادة طافحة . قلت :

— سأحاول أن أجد لك بعض الأصدقاء .

كنت أهد الإقالات منه بأى طريقة . مئات الأطنان من الحجر والأحمت والحديد ستوضع فوق الوجه الذى ما رأيت مثله ولن أرى . ترى أين هي صاحبة الوجه البهى الآن ؟ . هل كان يمكننا أن أتزوجها حقا ؟ ، لا ، ليس في الدنيا كلها أجمل من نوال . أليس كذلك ؟ ...

ومضيت . ما كذبت أبعد عنه حتى زفرت زفرة طويلة وفكرت أن أعود بلا صيد . ما معنى أن يأق هذا الصاعد من الألفة العنة ويمتلك بيتا أقدم من حمري وعمرى كما قال عبد السلام ؟ . لكننى سرت في طريقى . لا يجب أن يغيب إحساسى بالهواء النقي الفرحان حولي ، ولا بالفضاء الواسع الأكبر من كل شيء ، ولتلك بيت الياهمين كل لصوص العالم ، فلن يوجد شخص أبدا في كآبة صاحب البيت القديم .

القاهرة

— انتهت —

١٩٨٤ — ١٩٨٥



هذه الرواية القصيرة « بؤس الياسمين » كل ما
يقال عنها أنها تحفة فنية. فهي من ناحية تعيد اليأس
تقاليد الأدب الساذج ، الذي انحسر قليلاً عن فن
الرواية بعد للآزلي. ومن ناحية تعكس الأوضاع علي
حالة الجيل الذي انتصر في حرب أكتوبر بعد نفسه
غريباً في مجتمع يتحول بسرعة من أهدافه . أنها
أذن نموذج لروايات الجيل الضائع ، وهي من ناحية
الشكل تقدم توليفة لم تستخدم من قبل حيث قدم
الكاتب لكل فصل بلوحة ثلاثة مختلف تماماً مع
لغة الفصل نفسه. وتوسع في دلالة الرواية . إنها
يلفتتار بلوحة سريرية بنظرة واحدة تكشف لك
عشرات الصور .

الطبعة الجديدة
2007

دار ومطبع المستقبل بالفجالة والاسكندرية

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>